

رسائل إلى الشهاب المصلح
(٤)

مواقف تاريخية حاسمة
من حضارة التوحيد

النور الجندي



سَلْطَانُ الْشَّيَّابِ الْمُسْلِمِ
(٤)

مَوَاقِفُ تَارِيخَتِهِ حَاسِمةُ
مِنْ حَضَارَةِ التَّوْجِيدِ

الْفُرْزُلُجِنِي

مَوَاقِفٌ تَارِيخِيَّةٌ حَاسِمةٌ
مِنْ حَضَارةِ التَّوْحِيدِ

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤ - ١٩٩٤ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة



الإدارة: ٧ ش. السراي - أول الميل ت. فاكس: ٩٨٧٩٢٤
الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارت المهندسين ت. فاكس: ٣٧٤٠٠٧١

تمهيد

إلى شباب الإسلام :

أهدى صورة سريعة موجزة من حضارة التوحيد التي صنعتها (القرآن الكريم) وبناها (محمد رسول الله) تحت اسم (لا إله إلا الله) فنمت وترعررت واتسعت آفاقها حتى عمت كل الأفاق ، وقدمنت للبشرية ذلك الضوء الكاشف الذي حررها من عبودية الأوثان وعبودية الإنسان للإنسان ودفعها إلى بناء المدينة وإنشاء الحضارة ، وكشف لها المنهج العلمي التجاري ، ومن خلال كتب التاريخ والتراجم ، وتاريخ الأبطال في ميادين العلم والحكم والجهاد تنكشف هذه الصور الرائعة ، وهذه المواقف الخالدة ، وتلك الكلمات السمححة المعبرة لتعطى صورة رائعة لهذه الأمة ، وهذه الحضارة .

ما أحوجنا أن نستروح نسائمها اليوم ونحن نعيid بناء الحياة من جديد ، ليرى شبابنا كيف كانت أمته في ميدان العلم والحياة ، وفي مجال الاجتماع والسياسة وال التربية ، أمة قامت دعائم فكرها على التوحيد الخالص وقد جعلت وجهتها بناء المجتمع الرباني الكريم ، وجعلت سعيها في الحياة لا من أجل مطعم ، أو جاه ، أو هوى ، أو تسلط على الأمم والناس ، ولكن من أجل إشاعة روح الإيمان ، والبر والرحمة والسماحة والإحاء الإنساني .

وقد قدم تاريخ هذه الأمة صفحات مجيدة وبطلات حية ، وصوراً ما تزال تبهر الناظر إليها وتوحي بما ينتظر هذه الأمة من مجد مجدد إن هي التبت تلك القيم التي قدمها الإسلام وعرفها المسلمون الأول وساروا عليها ، فأسعدوا البشرية كلها وقدموها لها ترياق أزماتها وعلاج أدائها وضياء أيامها وليلاتها .

فما أحوج المسلمين اليوم أن يتسموا بتراثهم وميراثهم ويأخذوا كتابهم بقوة ، وما أحوج البشرية إلى أن يستطيع المسلمون تقديم هذا الضياء كله للإنسانية . شريعة عادلة وخلقاً كريماً وأخوة عالمية وسماحة لا تعرف التعصب ولا العنصرية ولاإقليمية ، ولا تعرف الرياء ، أو الغدر، ولا يجعل العلم في خدمة المطامع والأهواء بل في خدمة الإنسان والإنسانية .

وفي هذه الصور المتواترة نجد النفس المسلمة ساقطة عالية ، قد تحررت من الداخل والرائف والوافد ، واهتدت إلى ربه وإلى الحق وإلى الفطرة ، وهي صور ليست عسيرة التحقيق أن تعود مرة إلى حياة المسلمين ، إذا ما التمسوا مصادرهم ومنابعهم الأصلية وتحرروا من عقائد الآخرين ومذاهب الأممية الضالة المضلة .

وبعد فهذه صور ليست مثالية متنقاء ، ولكنها صور واقعية تكررت وثبتت ، لأن مصدرها هو الإيمان الحق ، وهي قادرة على أن تعود وتتكرر في هذا العصر إذا ما التمسنا مصادرنا من القرآن والسنة .

إليك أيها الشباب المسلم في هذا العصر أقدم صورة من حضارة أمتك وديتك : حضارة التوحيد . أمل البشرية الباقي على الرمن .

المؤلف

الفصل الأول

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

لا يمكن فهم عظمة الإسلام وسماحته ويسره ومدى ما قدم للبشرية من ضياء . وحرية وإيمان . إلا باستعراض تلك الصور الزاهية التي تكشف عن ذلك الخلق الرفيع الذي بني رسول الله على أساسه مجتمع الأمة الإسلامية الأول . وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله وحياته وأسلوبه في التعامل مع اتباعه وأصحابه وأعدائه . واضحة في عشرات من المواقف والأحداث . التي اختبرنا منها هذه النماذج . كذلك فهي تكشف عن حياته الخاصة صلى الله عليه وسلم في بيته . وصفة طعامه وشرابه وملبسه وفرشه وكيف صنع الإسلام هذه الأساليب الرفيعة في التعامل والحديث على نحو لا يمكن أن يفهم ويستوعب إلا باستعراض هذيه الواقع .

ضيف أبي أيوب :

عندما قدم رسول الله إلى المدينة نزل في دار أبي أيوب الأنباري . يقول أبو أيوب :

لما نزل رسول الله في بيتي نزل في الأدنى وأنا وأم أيوب في الأعلى ، فقلت:
يا رسول الله :

بأى أنت وأمى ، إن لآخره : أن أكون فوقك وتكون تحتي . فاظهر
أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فتكون في السفل .

قال النبي : يا أبا أيوب ، ارافق بنا وبنـي يغشانا أن تكون في أسفل البيت .
يقول أبو أيوب :

ولقد انكسر لنا جب فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ، ما لنا
لحاف غيرها ، ننشف بها الماء خوفا من أن يقطر على رسول الله منه شيء فيؤذيه .

كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وإذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ وكان يرى في الحرب فيريد جهة ويقصد غيرها .

على رسالكم : هذه صفة :

عن « صفة » زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها جاءت إلى رسول الله تزوره في اعتكافه بالمسجد في العشر الأولى من رمضان فتحدثت عنده ساعة ، ثم قالت تنصرف فمضى النبي معها ، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة ، إذ مر رجلان من الأنصار فسلموا على رسول الله .

قال لهم النبي : على رسالكم ، هذه صفة بنت حبي .

فقالا : سبحان الله يا رسول الله .

وكبر عليهم ذلك .

قال النبي : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم وإن خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً .

قام النساء حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من « أحد » يسألن عن أهلهن ، فلم يخبرن حتى أتين رسول الله ، فلا تسأله واحدة إلا أخبرها ، فجاءته حنة بنت جحش : فقال : يا حنة احتسبي أخاك عبد الله بن جحش ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمة الله وغفر له .

ثم قال : يا حنة احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : يا حنة احتسبي زوجك مصعب بن عمير . فقالت : يا حرباه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن للمرأة لشعبة من الرجل ما هي له في شيء .

اللهم حوالينا ولا علينا :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال

إن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله قائم فقال :

قال : فرفع رسول الله يديه فقال :

يا رسول ، هلكت المواشي ، وانقطع السيل ، فادع الله يغاثنا .
اللهم أescنا ، اللهم أescنا ، اللهم أescنا .

قال أنس : فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا ،
وما بيننا وبين سلع (جبل خارج مكة) من بيت ولا دار .

قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء
انتشرت ثم أمطرت .

قال : والله ما رأينا الشمس ستا (أي ستة أيام) ثم دخل رجل من ذلك
الباب يوم الجمعة التالية ، ورسول الله قائم يخطب فاستقبله قائما .

فقال : يا رسول الله : هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله
يسكها .

قال : فرفع رسول الله يديه ثم قال :
اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والظراب والأودية ،
ومنابت الشجر .

قال : فانقطع المطر ، وخرجنا نمشي في الشمس .

حكم اختاته عائشة :

قالت عائشة رضي الله عنها :

كان بيني وبين رسول الله كلام فقال :

من ترضين أن يكون بيني وبينك ، أترضين بأبي عبيدة بن الجراح .

قالت : لا ، ذلك رجل هين لين يقضي لك

قال : أترضين بأبيك ؟ قالت : نعم .

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله : اقصصي

قالت : بل اقصص أنت . فقال : هي كذا وكذا

قالت عائشة : « أقصد »

فرفع أبي بكر يده فلطمها وقال :

أنت قولين يا بنت أم رومان لرسول الله : أقصد . من يقصد إذا لم يقصد
رسول الله .

فجعل الدم يسيل من أنفي ، ورسول الله يحجز بيتنا . ويقول لأبي بكر :
إنا لم نرد منك هذا

وجعل يغسل الدم من ثيابي ويقول :

رأيت كيف أنقذتك من الرجل ..

مجلس رسول الله :

قال سفيان بن وكيع :

كان رسول الله في جلساته دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا
غليظ ، ولا صخاب ولا عياب

قد ترك نفسه من ثلاثة : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وترك الناس
من ثلاثة كان لا يدّم أحدا ولا يعيره .

وإذا تكلم أطرق جلساً ، كأنما على رءوسهم الطير .

وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث .

من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أو لهم ، يضحك
ما يضحكون فيه ، ويعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في
المنطق ، ويقول :

إذا رأيتم صاحب الحاجة فارفدوه

ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه .

عوب عبد الله بن جعفر لكثرة عطائه وسخائه فقال :

إن الله سبحانه وتعالى عودني عادة وعودت خلقه عادة ، فأشاف أن أقطع العادة فتنقطع العادة .

قد أجرت العاص بن الربيع :

عندما عاد العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي إلى المدينة من الشام وكان في تجارة ولم يكن قد أسلم بعد الهجرة . اعتقله المسلمون وذهب زينب إلى باب المسجد في صلاة الصبح ثم صاحت بملء صوتها :

«أيها الناس : إني قد أجرت العاص بن الربيع» .

فلما سلم النبي من صلاته قال :

أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا : نعم

قال : أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم وإنه ليجبر على المسلمين أدناهم وقد أجرنا من أجارات .

ثم انصرف النبي فدخل على ابنته وعندها ابن خالها وزوجها ، فاتحى بها ناحية وقال :

أى بنتي : أكرمى مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

وعندما أرسلت زينب قلادة خديجة لتفديه بها ، فلما رآها رق لها وقال في حنان :

إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها مالها فاقعروا .

صفة رسول الله :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله يسرد كسركم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه ، وكان يعيد الكلمة ثلاثة ليعقل عنه ، وكان متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يفتح الكلام ويختمه باسم الله ، ويتكلم بجموع الكلم ، كلامه فضل لا فضول ولا تقصير ، ليس بالجاف ولا المهين ، إذا

أشار بكتبه إلى إذا تتعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ، وضرب براحة اليمنى
بطن ابهام اليسير ، وإذا أعرض غضب وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل
ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام .

وكان لا يضحك إلا تبسم ، وكان رسول الله يحب التيمن ما استطاع في
ترجله وتنعله وظهوره وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله . وكان لا
يأكل متكتكا ، وما شبع رسول الله من خبز الشعير يومين متتابعين ، حتى قبض ،
وكان النبي يقول : أعنديكم غذاء فيقال : لا . فيقول : ولاني صائم . وكان الرسول
يتوضأ إذا قرب إليه طعام وكان يقول إذا طعم : باسم الله ، وإذا فرغ من طعامه .
قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين .

إن لأحب حبيبا:

قالت عائشة رضي الله عنها :

إن النبي كان لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، وأقبلت (هالة) أخت خديجة لزيارة المدينة ، وسمع النبي صوتها في فناء بيته ، وكان يشبه صوت الراحلة فهتف يقول :

اللهُمَّ هَلْ

فما ملكت عائشة أَنْ قالتْ : مَا تذكِرْ مِنْ عجوزْ مِنْ عجائزْ قريشْ ،
يُبَدِّلُكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا .

فغضب النبي وقال :

والله ما أنت بخير منها ، ووالله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي حين كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنا الناس ، وواستنى بماها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء ، فجزاها الله عنى خير الجزاء ، اللهم كافئه حديقة بنت خويلد .

قالت عائشة : والله لا أذكرها بعدها أبدا

وكان النبي إذا ذبح الشاة يقول :

أرسلوا إلى أصدقاء خديجة .

فحدثه عائشة في ذلك فقال :

إني لأحب حبيبها .

بل نترفق به :

لما أثار عبد الله بن سلول الفتنة بين المهاجرين والأنصار بعد غزوة بنى المصطلق . وبلغ النبي ، أشار عمر بقتل ابن أبي سلول قال النبي : فكيف يا عمر . إذا تحدث الناس بأنَّ محمداً يقتل أصحابه .

فلما جاء ابن عبد الله بن أبي و كان مسلماً : قال : إنَّ كأن لا بدَّ أمراً بقتل أخيه فإنه يتولى هو قتله ، فقال الرسول : بل نترفق به ، ونحسن صحبه .

لما جاء بشير بن الحصاصية الدوسى لبياع النبي اشترط عليه الشهادتين ، والصلوة ، وصوم رمضان ، والزكاة ، والحج ، والجهاد في سبيل الله .

قال بشير : أما الثالث فلا أطيقهما : الزكاة ، وليس لي إلا عشر ذود (نياق) هن رسل أهلي (غذاؤهم) وحملتهم ، أما الجهاد فتقولون : إن من ول (فر) فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضرني قتال : أن أكره الموت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ولا جهاد ، فبم تدخل الجنة ؟

قال بشير : يا رسول الله أبايعك عليهم كلهم .

اللهم ارحم الأنصار :

عندما خص النبي صلى الله عليه وسلم « المؤلفة قلوبهم » من قريش ببعض الغنائم في معركة حنين . قال بعض الأنصار : لقي رسول الله قومه .

فدعاهم إلى حظيرة سعد بن عبادة وقام فيها خطيبا فقال :
يا معشر الأنصار : مقالة بلغتني عنكم (وجدة و جدموها على فـ
أنفسكم) ألم أتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فاغناكم الله ، وأعداء فألف بين
قلوبكم .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : أما والله لو شئتم لقتم ، وصدقتم وصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ،
ومخزونا فنصرناك ، وطريداً فآتيناك وعائلاً فآسيناك .

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لعنة من الدنيا تألفت بها قوماً
ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس
بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم .

فوالذي نفس محمد بيده ، لو لا الهجرة لكت امراً من الأنصار ، ولو سلك
الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً سلكت شعب الأنصار : اللهم ارحم الأنصار
وأبناء الأنصار . وأبناء أبناء الأنصار .

عارية من الله استردها :

فقدت الرميساء ابنها في غيبة أبيه فأخذت ذلك عنه حين عودته واستقبلته
أحسن استقبال ، فرحة مرحة ، وهي تخفي أمرها كله ، فلما سألاها عن الصبي
قالت :

إنه بأحسن حال : فإنه منذ اشتكي ليس بأسكن منه الليلة .
وأصاب الرجل من زوجته حاجة دون أن يعرف مدى مفهوم عباراتها فلما انتهى
قالت له :

أرأيت لو أن قوماً أغاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوها عاريتهم ، هل لهم أن
يمنعوها .

قل أبو طلحة : لا .

قالت الرميساء : فاحتبس ابنك . إنه كان عارية من الله وقد استرده .
وذهب الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يروي قصته ، فقال النبي :
الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذه .

ورفع يده إلى السماء وقال :

اللهم بارك هما في ليتهما

وحملت بابها عبد الله . وخرجت الرميساء إلى معركة « حنين » مع زوجها وهي حامل تشجع الجنود وتعالج المرضى ، وكانت تشير إلى خنجرها وتقول :

لو أن رجلا اقترب مني لفتكت به ، واستمع النبي إلى قوله فضحك .
وعاشت الرميساء حتى أُنجبت سبعة أولاد يقرأون القرآن .

كنا نعرف خروجه برائحة الطيب :

قالت عائشة رضي الله عنها :

دخل أبو بكر على رسول الله وهو مضجع ، وعليه ثوبه فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء على فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله :

فقالت له عائشة :

لم تصنع هذا بأحد .

قال النبي : إن عثمان رجل حبي ، وإن خشيت أن أذنت له على تلك الحال
ألا يبلغ إلى حاجته .

وكان النبي إذا لقيه أحد من أصحابه قام معه فلم ينصرف حتى يكون هو
الذي ينصرف ، وإذا ما لقيه أحد فتناول يده ناوله ايها فلم ينزع يده .

وقال أنس : صحبت رسول الله عشر سنين ، وشمت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من ريح رسول الله ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من النبي ، كان الأرض تطوى له ، وإنما لتجهد وهو غير مكتثر .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول :

إن الله يحب من أحدمكم إذا خرج إخوانه أن يتجممل لهم ، وقال : كنا نعرف خروج النبي برائحة الطيب .

الشهادة :

قدم إلى مكة رجل من أهل البادية ، وسأل أين رسول الله فلما وصل إلى داره قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وظل بمكة حتى هاجر الرسول فهاجر معه .

وخرج الأعرابي مع النبي في أحدى الغزوات وعند تقسيم الغنائم اعطاه النبي نصبيه ، فظهر الغضب في وجه الأعرابي وقال :

أفعل هذا اتبعتك يا رسول الله ؟ إنما اتبعتك على أن أقتل في سبيل الله .
ثم نهض إلى القتال ، وبعد ساعة جاء به المجاهدون محمولاً وقد أصابه سهم
ف عنقه ..

وقف عثمان بن مظعون في قلب مكة وقال :
قد تركت جوار الوليد بن المغيرة .

وسمعه الوليد وهو يردد قوله « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » فلطممه على عينه فانحسرت . فقال له الوليد : إن عينك عمّا أصابها لغنية قال عثمان : إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله وأنى لفني جوار من هو أعز منك .

ولما مات إبراهيم ابن النبي قال له الرسول :
الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون .

ما ذكره يوم الفتح :

روى الطبراني عن ابن عباس :

قال النبي لأم هانئ بنت أبي طالب صبيحة فتح مكة وكان قد نزل في بيته :

هل عندك طعام فأكله ؟

قالت : ليس عندي إلا كسر يابسة وإنني لأشتكي أن أقدمها إليك .

قال : هل هي هن ، فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال :

هل من أدم ؟

قالت : ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خل ..

قال : هل هي هلمية .

فصبها على الطعام فأكل منه ثم حمد الله ثم قال :

نعم الإدام الخل يا أم هانئ ولا ينقر بيته خل .

قال له أحد الوافدين : أنت سيدنا

قال النبي : السيد الله ، قولوا قولكم ولا يستجربنكم الشيطان .

ألا هل بلغت : اللهم فاشهد :

عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يجمع الصدقات فجمعها وأتى بها الرسول وقد جعلها كومتين . قال : هذا لكم وهذا أهدي إلى .

قال النبي : ما بال الرجل تستعمله على عمل مما ولا نال الله فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي إلى ، فهلا جلس في بيته أيه ، أو أمه فينظر أيه دى إليه شيء أم لا ، والذى نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء يوم القيمة يحمله على رقبته : ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فأطّال السجود .

فلما قضيَت الصلاة قيل له :

يا رسول الله : إنك سجّدت سجدة أطّلتها حتى ظننا أنّه قد حدث أمر ،
وأنّه يوحى إليك .

فقال صلّى الله عليه وسلم :

كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أُعجله حتى يقضي حاجته .

وعندما مات إبراهيم بكى الرسول فقيل له :
اتبكي وأنت رسول الله .

قال : إنما أنا بشر . تدمع العين ويختنق القلب ، ولا نقول ما يسع خط
الرب . وإنما عليك يا إبراهيم لحزونون ، وإنما لن نغنى عنك من الله شيئاً .

ضيف رسول الله :

أتى النبي رجل من البدية فبعث صلّى الله عليه وسلم إلى نسائه في أمر طعام
له فقلن : ما معنا إلا الماء .

قال الرسول : من يضيّف هذا ؟

فأخذه رجل من الأنصار فانطلق به إلى بيته وقال لأمرأته : هل عندك
شيء ؟

قالت : لا . إلا قوت صبياني .

قال : فعلّي لهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطْفِئ السراج ، واريه أنا نأكل ،
إذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه . قال : فقعدوا وأكل الضيف .
فلما أصبح غدا على النبي ﷺ .

فما إن رأه الرسول حتى ابتسם وقال :
قد عجب الله من صنيعكم بما ضيفكم الليلة .

وجاء اعراف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إن امرأتي ولدت غلاماً أسود .

قال النبي : هل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : فما ألونها ؟ قال : حمر . قال :
أفيها أورق ؟ (بغير جمع بين السواد والبياض)

قال الأعرابي : نعم ، قال : فأني كان ذلك قال : أراه عرق نزعه .
(أى أن أصلاً من أصول البعير كان أسود فجذبه إليه) .

قال النبي : فعلل ابنك فيه نزع عرق .

قال شاهد : إنه كان للأم جدة سوداء .

طرف نعيمان :

كان نعيمان من أصحاب رسول الله ، وكان لا يدخل المدينة طرفة إلا
اشترى منها ثم جاء إلى النبي فيقول :
يا رسول الله : هذا أهدتي إليك

إذا جاء صاحبه فطالب نعيمان جاء به إلى النبي فيقول : يا رسول الله :
أعط هذا ثمن متاعه .

فيقول النبي : أو لم تهده إلى يا نعيمان .

فيقول : يا رسول الله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله .

فيضحك النبي ويأمر لصاحبته بشمله ..

قال عبد الله بن حذيفة بن اليهان :

مرسلا فإذا مر بآية تسبيح سبع ، وإذا مر بسؤال سأله ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ،
ثم ركع فجعل يقول : سبحان رب العظيم .

فكان ركوعه نحو من قيامه

ثم قال : سمع الله من حمده ربنا لك الحمد
ثم قام : قياما طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد ، فقال :

سبحان رب الأعلى

فكان سجوده قريبا من قيامه .

دين اليهودي :

روى أن يهوديا كان له دين عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأراد
أن يطلب دينه قبل حلول أجله فاعتراض الرسول في طريق المدينة وقال :

إنكم بني عبد المطلب قوم مطل .

ورأى عمر ذلك فاشتد غضبه وقال :

ليأذن لي رسول الله أن اقطع عنقه .

قال النبي : أنا وصاحبي أحوج إلى خير من هذا منك يا عمر ، مره بحسن
التقاضى ومرني بحسن الأداء .

ثم التفت إلى الرجل وقال :

يا يهودي : إنما يحمل دينك غدا .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

أتيت رسول الله بمحريرة (دقيق يطبخ بلبن أو دسم) طبختها له . فقلت
لسودة (والنبي يبني ويبنيها) : كل ، فأبأته فقلت لها : لتأكلن أو لأنطخن
 وجهك .

فأبأته ، فوضعت يدي في الحريرة ولطخت بها وجهها .

وضحك النبي ووضع يده لها وقال لسودة :
لطخى وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي أيضا .
فمر عمر فناداه : يا عبد الله
فظن النبي أنه سيدخل فقال :
قوما فاغسلا وجوهكم
قالت عائشة : مما زلت أهاب عمر هيبة رسول الله آياه .
أشروا على أيها الناس :

وقف النبي صلى الله عليه وسلم : يسأل الأنصار رأيهم قبيل غزوة بدر
وكانوا قد عاهدوه على نصرته داخل مدحتم العذراء « يثرب » وكان قد تحدث
كثيرون ولكن الرسول يريد أن يسمع رأي الأنصار فظل يردد :
أشروا على أيها الناس .

قال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وشهادنا أن ما
جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ،
فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لواستعرضت بنا
هذا البحر فخطته لخضناه معك ما تختلف منا يرحل واحد ، وما نكره أن نلقى
عدونا غدا ، وإنما لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يرييك منا ما تقربه
عينك .

قال زيد بن ثابت :
بعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوم أحد) أطلب سعد بن الريبع
فقال لي :
ان رأيته فأقره مني السلام وقل له : يقول لك رسول الله :
كيف تجدىك ، قال زيد : فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته ، وهو في آخر رمق ،
وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة رمح ، وضربة سيف ، ورمية بسهم .

فقلت له : يا سعد : إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : كيف تجده
قال : على رسول الله السلام ، قل له : يا رسول الله : أجد ريح الجنة وقل لقومي
الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن تمكنت عدو من الوصول إلى رسول الله وفيكم
عين تطرف ، وفاضت روحه .

الفكاكة والمداعبة :

جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

يا رسول الله : ادع الله أن يدخلنِي الجنة .

قال النبي : إن الجنة لا يدخلها عجوز .

فانصرفت المرأة حزينة فقال رسول الله لأصحابه : ردوها على فلما جاءت

قال : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، أما قرأت قول الله تعالى :
﴿إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءٌ فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا عَرَبًا أَتْوَ ابْرَاهِيمَ﴾ (١)

فانطلقت أسرير المرأة .

ما سبقت أبا بكر إلا سبقني :

صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ، فلما قضى صلاته قال :

أيكم أصبح اليوم صائما ؟

قال أبو بكر : أنا يا رسول الله بـثـ الـبـلـةـ وأـنـاـ أـحـدـ ثـ نـفـسـيـ بـالـصـومـ .
فأصبحت صائما .

ثم سأله النبي : أيكم عاد مريضا .

قال عمر : إنما صلينا الساعة ولم نبرح فكيف نعود المريض ؟

قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، أخبروني أن أخي عبد الرحمن بن عوف
مريض وجع ، فجعلت طرقني إليه فسألت عنه ثم أتيت المسجد .

قال النبي : فأيكم تصدق اليوم بصدقة ؟

(١) سورة الواقعة .

قال عمر : ما برحنا معك منذ صلينا فكيف نتصدق ؟

قال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، دخلت المسجد فإذا سائل يسأل : وابن عبد الرحمن بن أبي بكر معه كسرة خبز فأخذتها وأعطيتها للسائل .

وكان عمر يقول : ما سبقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني إليه .

جاء عمر لرسول الله بنصف ماله وجاء أبو بكر بماله كله .

فلما سأله الرسول : ماذا أبقيت لعيالك ؟

قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

ما أحب أن تشوكه شوكة :

لما اعتقل المشركون (خباب بن الأرت) من أوائل المسلمين قالوا له :
أتحب أن حمداً مكانك وأنت جالس في بيتك !

قال : والله ما أحب أن تشوشك حمداً شوكة وهو في مكانه .

فلما هدد بالقتل قال :

والله إن قتلي في الله لقليل ، فجعلوا وجهه من حيث جاء

قال : ما صرفكم وجهي عن القبلة ، ودار بوجهه وقال :

اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عنى
السلام ، فبلغه أنت عنى السلام .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

استأذن عمر على رسول الله وعنده نساء من قريش تكلمنه وتستكئنه ،
عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب :

فأذن له الرسول فدخل ، والرسول يضحك . .

قال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله .

قال النبي : عجبت من هؤلاء الالئ كن عندي لما سمعت صوتك ابتدرون
الحجاب :

قال عمر : أى عذوات أنفسهن ، أتهبنتي ولا تهين رسول الله .
قلن : نعم . إن فيك غلظة .

قال النبي : يا عمر والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجأا إلا سلك
فجا غيره .

أنا وافدة النساء إليك :

وفدت أسماء بنت يزيد الأنصارية ، والتى لقبت بخطيبة نساء العرب
ورسولهن إلى النبي وهو بين أصحابه .

قالت : يا أنت وأمي يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز
وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فامتنا بك وبالهلك ، وإننا عشر النساء
محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وإنكم عشر الرجال
فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وشهاد الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من
ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن أحذكم إذا خرج حاجا أو معتمرا ، أو
مجاهدا ، حفظنا لكم أولادكم وأموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم ،
أفتشاركم في هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعت
مسألة امرأة قط خيرا من مسألتها في أمر دينها .

قالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتمى إلى مثل هذا .
فالتفت النبي إليها وقال : أفهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء ،
إن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله .

فانصرفت المرأة وهي تهبل حتى وصلت إلى نساء قومها وعرضت عليهم ما
قال الرسول ففرجن ..

ساخت قوام فرسه :

أدرك سراقة بن مالك مبعوث قريش رسول الله في طريق الهجرة : فدعا عليه النبي فساخت قوام فرسه في الأرض ، فطلب الأمان فأمنه رسول الله وقال : كيف بك يا سراقة إذا لبست أساور كسرى .

فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقه وتأجه . استدعى سراقة فألبسه السوارين وقال له :

ارفع يدك وقل : الحمد لله الذي سلها كسرى بن هرمز ، وألبسها سراقة الأعرابي .

لما جعل النبي نساءه يوم حرب الخندق مع حسان، بن ثابت في أطمة ، وكان حسان رجل شعر لا رجل حرب ، جاء رجل من فوق الأطم يطل على نساء النبي فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان : قم فاقتله فهاب حسان الأمر ، وقال: لو كان ذلك في لكتن مع رسول الله فقام صفية فأخذت عمودا فضربت به اليهودي حتى قتله ثم طرحته على فوق ، وهم أسفل الأطم . فقالوا : قد علمنا أن محمدا لم يكن يترك أهله خواليس معهم أحد ففرقوا .

زفاف فاطمة :

في ليلة زفاف فاطمة رضي الله عنها بعل . دعا الرسول أم سلمة ، فطلب إليها أن تمضي بالعروس إلى بيت على ، وتنظره هناك ، وصل العشاء ، ثم مشى إلى دار على ، حيث دعا بماء فقرأ عليه بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم أمر العروسين أن يشرباه وتوضأا بالباقي ونثره على رأسهما .

وذهبت فاطمة يوما تسأل رسول الله خادما من السبابيا بعد أن أجهدها ما كانت تكابده ، فلما جاء الليل ، وكانت قد رقدا ، إذا بالباب يفتح ، ويقبل عليهما الرسول فتهيا للقاء ، فيقول :

مكانكم ، ألا أخبركم بخير مما سألهما :

قالا : بلى ، قال : تسبحان الله دبر كل صلاة عشرة وتحمدانه عشرة ،
وتكبرانه عشرة .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال :

دخلت أنا ورجلان من بنى عمى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد
الرجلين :

يا رسول الله أئمنا على بعض ما ولاك الله وقال الآخر : مثل ذلك -

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله . ولا أحدا حرص عليه .

الصحابة :

سمى النبي « طلحة » يوم أحد : طلحة الحير وفي غزوة العسرة « طلحة
القياض » وفي يوم خيبر « طلحة الجود » .
وقال سعد بن أبي وقاص :

بنلني رسول الله يوم أحد (أى وضع لي التبل) وقال :
ارم فداك أبي وأمى ، وقال عليه الصلاة والسلام : اللهم سدد رميء
وأجب دعوته .

وقال : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح .

وقال : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ .

وقال : ما أقتل الغرباء ولا أطلت المفتراء أصدق لهجة من أى
ذر - وقال ابن عباس : ضممتى النبي إلى صدره وقال :
اللهم علمه الحكمة وقال : نعم الرجل عبد الله بن عمر كان يصلى بالليل ثم ما كان
يتأم من الليل إلا قليلا . وكان عليه السلام يقول : ما لكم وعمار (أى عمار بن
ياسر) إنما عمار جلدة ما بين عيني ، وكان بنو مخزوم يغدوونه وأمه ، وكان يمر
بهم النبي ويقول :

صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة .

قال النبي لفاطمة :

يا فاطمة بنت محمد سلئني ما ثشت من مالى لا أعنى عنك من الله شيئا .

وقال : والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

هذه بتلك :

قالت عائشة رضي الله عنها :

كان السودان يلعبون في أيام العيد بالدورق والحراب فقال النبي : إن كنت أشتهي أن أنظر .

قلت نعم : قالت فاق مني وراءه وهو يقول دونكمبني ارقده حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي .

وتقول :

خرجت مع النبي في بعض أسفاره وأنا جارية لم أكن أحمل اللحم فقال للناس : تقدموا ، تقدموا ، ثم قال لي : أسبقك ، فسابقته فسبقته .

فسكت حتى إذا حملت اللحم وكنا في سفرة أخرى ، قال للناس : تقدموا .

ثم قال : تعالى أسبقك ، فسابقته فسبقني . فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول : هذه بتلك .

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله فأعطاني ثم سأله فأعطاني ثم قال : يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبّع واليد العليا خير من السفلة .

قال حكيم : والذى يبعثك بالحق لا أسأل أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا .

أنت بالخير :

خرج صفوان بن أمية هاربا من مكة عندما دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحا ، ليقذف بنفسه في البحر ، فذهب عمير بن وهب إلى رسول الله يطأطأ له الأمان فأمنه النبي .

قال يارسول الله ، اعطنى علامة يعرف بها أمانك فأعطيه عمامته التي دخل بها مكة . فادرأه عمير صفوان وقال له : هذا أمان رسول الله قد جئت به . وعاد صفوان فوق على رسول الله في مجلسه فقال : إن هذا يزعم أنك أمنتني . قال النبي : صدق .

قال : فاجعلني بالخيار شهرين . قال النبي : أنت بالخيار أربعة أشهر . خرج أبو سفيان من مكة حتى قدم المدينة (قبل فتح مكة) فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي . فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه . قال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عنى . قالت أم حبيبة : بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشيرك فلم أحب أن تجلس عليه .

قال أبو سفيان : لقد أصابتك يا ابنتي بعدى شر كثير .
ما هو بملك :

قال عدى بن حاتم الطائي : دخلت على رسول الله في مسجده فانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعائد إذ لقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوق لها طويلاً تكلمه في حاجتها .

قال : قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ، ألم تلك روسيا .

قال : قلت : بلى .. قال : أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع قلت : بلى .
قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك .
قال : أجل والله .

قال عدى : وعرفت أنهنبي مرسل يعلم ما لا نعلم .
ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذنه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عددهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القadesية على بغيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وائم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ... قال : فأسلمت ..

الفصل الثاني الحُكْم ونقوي الله في الرعية

يقدم التاريخ الإسلامي صورا رائعة من العدل والسماحة في مجال الحكم ، والتعامل بين الراعي والرعية ، تسجل بتقدير وإنصاف عظمة هذا الدين الحق ، وسلامة هذا النهج القرآني الكريم الذي علمه رسول الله للمسلمين . وطبقه الخلفاء والصحابة ، والتابعون في مجتمعهم فحققوا به عدالة ، ورحمة وكرامة ، وعاشوا به سعداء . جامعين بين خيرى الدنيا والآخرة ، لا يطوف بهم حقد . ولا بأساء ولا مظلمة ، وإنما هناك إخاء ، ووفاء فالوالى يسمع النصائح إذا وجه إليه والناس يقولون سمعنا وأطعنا لكتاب الله يطبقه الحاكم العادل .

الصديق أبو بكر :

ظل الصديق أبو بكر بعد أن ولى الخلافة يغدو إلى السوق يحمل أثوابا من تجارة . ولقيه عمر ومعه أبو عبيدة فقال عمر :

أين تزيد يا خليفة رسول الله ؟

قال : السوق .

قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين .

قال أبو بكر : فمن أين أطعم عيال ؟

قال عمر : انطلق بنا حتى نفرض لك شيئا .

فانطلق معهما ففرضوا له شطر شاة كل يوم ، فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله ، فلما أصبح الصباح خرج إلى البقيع وأخذ يصفق بيده فإذا هو في السوق بيع .

فأخذ عمر بيده وقال : تعال هاهنا .

قال أبو بكر : لا حاجة لي في اماراتكم ، رزقتموني ما لا يكفيوني ولا
عيالى .

قال عمر : فإننا نزيدك .

قال أبو بكر : ثلاثة مائة دينار والشاة كلها .

قال عمر : قد فعلنا .

ولم يقبل أبو بكر بل ذهب إلى المسجد ، ودعا الناس ، وقص القصة على
المسلمين .

قالوا : اللهم نعم قد رضينا .

الا باب أبي بكر :

وقف صلٰ عليه وسلم في المسجد يقول :

إن عباد الله خيره الله بين الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عند
الله .

فلما سمعه أبو بكر انشج بالبكاء وهو يغالب العبرات : ويقول :
بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا .

وأشار إليه الرسول بيده وقال : على رسلك يا أبي بكر .

وقال النبي : انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد فسدوها إلا باب أبي
بكر ، فإذ لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه ولو كنت متخدلاً
خليلاً لا تخذلت أبي بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام حتى يجمع الله بيننا .

ونادي النبي قبل أن يقبض .

أيها الناس : من كنت جلدته له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقدْ مني ، ومن
كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقدْ منه ومن أخذت منه مالاً فهذا مالى
فليأخذ منه ولا يخش الشحنة فهو ليست من شأنى .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أرحم أمتي بأمتى أبو بكر : وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء :
عثمان ، واقرؤهم لكتاب الله : أبي بن كعب ، وأفرضهم : زيد بن ثابت
وأعلمهم بالحلال والحرام : معاذ بن جبل .

كدت تهلكني :

كان لأبي الصديق غلام يغلي عليه فاتحه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له
المملوك :

مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة .

قال الصديق : حملني على ذلك الجوع .

قال : صنعت رقية لقوم في الجاهلية فأعطيوني .

قال أبو بكر : أفر لك أن كدت تهلكني .

فأدخل يده في حلقة وجعل يخرج الطعام .

فقيل له : يرحمك الله ، أكل هذا من اللقمة ؟

قال : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، لقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول :
كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به .

عندما حضرت أبو بكر الوفاة ، أتى عثمان وأملأ عليه عهده بتولية عمر ،
فلما أملأه قوله :

هذا ما عهد به أبو بكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين أما بعد :
وهنا أغنى على أبي بكر ، وخشي عثمان أن تكون الوفاة ، فأسرع بكتب :
« فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلمكم » وأفاق أبو بكر
فقرأ عليه عثمان ما كتب فكتب الخليفة وقال :

أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في عشيتى . جراك الله خيرا عن
الإسلام .

زادوني بكل درهم عشرة :

قال ابن عباس :

قطع الناس في زمان أبي بكر فقال أبو بكر : لا تمشوا حتى يفرج الله
عليكم فلما كان من الغد جاء البشير إليه فقال :

لقد قدمت لعثمان ألف راحلة برا وطعاما ، فغدا التجار على عثمان فقرعوا
عليه الباب فخرج إليهم وعليه ملائمة قد بخالف بين طرفها على عاتقه فقال لهم : ما
تريدون .

قالوا : بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة برا وطعاما ، بعنا : حتى نوسع على فقراء
المدينة .

قال لهم عثمان : ادخلوا فدخلوا فإذا ألف فرقاً صب في الدار .

قال عثمان : كم تربحون على شرائي من الشام .

قالوا : العشرة أثنتي عشر ، قال : قد زادوني قالوا : العشرة أربعة عشر .

قال : قد زادوني : قالوا : العشرة خمسة عشر .

قال : قد زادوني : قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة .

قال : زادوني بكل درهم عشرة ، هل عندكم زيادة .

قالوا : لا :

قال : فأشهدكم أنها صدقة على فقراء المدينة .

النسبة :

استقبل الصديق أبو بكر قوماً فقال :

من القوم . قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة ، أئتم هامتها . قالوا :
من هامتها العظمى قال : وأى هامتها العظمى أئتم :
قالوا : ذهل الأكابر .

قال أبو بكر : فمنكم عوف بن حملم الذي يقال فيه : لا حر بوادي
عوف .

قالو : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة الحامى الدمار ، والمانع الجار ،
قالوا : لا . قال : فمنكم أخوال الملوك من كندة ، قالوا : لا . قال : فمنكم
أصهار الملوك في لحم . قالوا : لا .

قال أبو بكر : فلستم ذهلاً الأكابر ، بل أئتم من ذهل الأصغر .

الفاروق عمر :

بينما عمر قد وضع بين يديه طعاماً إذ جاء الغلام فقال :
هذا عتبة بن فرقان بالباب .

قال : وما أقدم عتبة إذن ؟

فلما دخل رأى بين يدي عمر طعامه وهو خبز وزيت .
قال : اقترب يا عتبة فأنا صب من هذا .

فذهب يأكل . فإذا هو بطعام خشن لا يستطيع أن يسيغه .

قال . يا أمير المؤمنين . هل لك في طعام يقال له الحواري « لباب
الدقيق » .

قال : ويلك ويسع المسلمين كلهم . قال : لا والله .

قال : ويلك يا عتبة ! أفاردت أن آكل طيبات في حياتي الدنيا واستمع
بها .

وقدم الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال :
هذا لنا فما للقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشعرون من خبر الشعير .
قال خالد بن الوليد : هم الجنة .
فاغرورقت عينا عمر وقال : لمن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة ،
لقد باينتونا بونا بعيدا .

أذكرك بالله :

صاحب عمر بن الخطاب على رجل يوما وعلاه بالدرة فقال له الرجل :
أذكرك بالله .
فطرحها وقال : لقد ذكرتني عظيما .
وعن ابن عمر قال : ما رأيت عمر غضب قط ، فذكر الله عنده أو خوفه
أو قرأ عنده انسان آية من القرآن إلا وقف مما يزيد .
قال أسلم : جاء بلايل يزيد أن يستاذن على عمر قلت : إنه نائم ، فقال :
يا أسلم كيف تجدون عمر .

قلت : خير الناس إلا إنه إذا غضب فهو أمر عظيم .
قال بلايل : لو كنت عنده ، إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب
غضبه .

قال عمر لأصحابه :
دلوني على رجل استعمله .
قالوا : وما شرطك فيه .

قال : إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإن كان أميرهم
كان كأنه رجل منهم .

أين ملوككم :

أرسل قيسر رسولا إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأله أهلها وقال : أين ملوككم !

قالوا : مالنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة .

فخرج الرسول في طلبه ، فرأه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه قد بل الأرض .

فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال :

رجل لا يقر للملوك قرار من هيبيه وتكون هذه حالي !

ولكذلك يا عمر عدلت فأمنت فنمت ، وملوكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا ، أشهد أن دينك الدين الحق ، ولو لا أنني أتيت رسولا لأسلمت ولكنني أعود وأسلم .

دخل رجل على قتيبة بن مسلم في حاجة له ووضع نصل سيفه على اصبع رجل الأمير ، وجعل يكلمه في حاجته ، وقد أدمى النصل إصبعه ، فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف ، دعا قتيبة بن مسلم بمنديل فمسح الدم من إصبعه وغسله .

فقيل له : ألا نحيط رجلك أصلحك الله ، أو أمرت الرجل برفع سيفه عنها .

قال : خشيت أن أقطع عنه حاجته .

وفاء عمر :

روى أن عمر بن الخطاب مر في سوق المدينة فرأى إياض بن سلمة معترضاً في طريق ضيق فخفقه بالدرة وقال له :

أمط (تنح) عن الطريق .

ثم دار الحول ولقيه في السوق : فقال : أردت الحج هذا العام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأخذ بيده حتى دخل البيت ، وأعطاه ستة درهم ، وقال له : يا سلمة استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك بها عام أول .

قال إياس : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتها .

فأجابه عمر : أنا والله ما نسيتها .

وذلك من وفاء عمر .

الإنصاف من النفس :

عن جبير : أن نفرا قالوا لعمر بن الخطاب : والله ما رأينا رجلا أقضى بالقسط ولا أقول بالحق ولا أشد على المناقفين منه يا أمير المؤمنين ، فأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عوف بن مالك : كذبتم والله ، لقد رأيت بعد رسول الله خيرا من عمر ، أبو بكر .

قال عمر : صدق عوف وكذبتم ، ولقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بغير أهل (يعني قبل أن يسلم) .

الموت :

قال ابن عباس ، دخلت على عمرو بن العاص وهو يختضر فقلت له :

يا أبا عبد الله : كيف تجدك ؟

قال : أجed السماء كأنها منطبقه على الأرض وأنا بينهما وأراني كأنما اتنفس من خرم ابرة ثم قال : اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت فركبنا ، فلا برئ فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله ثم فاضت روحه .

ولقى الحسن البصري الشاعر الفرزدق في جنازة فقال له الحسن :

ماذا أعددت لهذا اليوم ؟

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله منذ ستين سنة ، وخمس
نماذج (يعني الصلوات الخمس)
المرء بأصغريه :

عندما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وفدت عليه وفود العرب ، ووفد
عليه وفد الحجاز ، فاختار الوفد غلاماً منهم ، فقدموه عليهم ليبدأ الكلام فلما
ابتدأ الغلام بالكلام ، وهو أصغر القوم سناً : قال عمر : مهلا يا غلام ، ليتكلّم
من هو أسن منك فقال : مهلا يا أمير المؤمنين . إن المرء بأصغريه : قلبه ولسانه
إذا منع الله العبد لساناً لا فظاً وقلباً حافظاً فقد استجاد له الحيلة يا أمير المؤمنين .
ولو كان الأمر بالسن في هذه الأمة لكان أولى بالخلافة من هو أسن منك .

قال عمر : تكلّم يا غلام .

وجه أبو بكر رضي الله عنه : أسامة بن زيد على رأس جيش إلى الشام
وخرج يشيعه راحلا ، فعظم الأمر على أسامة وقال :
يا خليفة رسول الله ، إماماً أن تركب ، وإنما أن أنزل قال له أبو بكر : ما أنا
براً كباً وما أنت بنازل ، ومالي لا أغير قدمي ساعة في سبيل الله .
ضعها على صلة عمرو :

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال :
يا أمير المؤمنين : هذا مقام العائذ بك قال : مالك ! قال : أجرى عمرو بن العاص
بمصر الخيل فأقبلت فرسى فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال :
فرسي ورب الكعبة .

فلما دنا مني عرقته ، فقلت : فرسى ورب الكعبة .

فقام إلى وضربي بالسوط وهو يقول : تأخذها وأنا ابن الأكرمين .
وبلغ عمرو ذلك فخشى أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه ، فوالله ما زاد
عمر على أن قال له : اجلس .

ثم كتب إلى عمرو : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد ،
وقال للمصري : أقم حتى يأتيك .

فدعى عمرو ابنه فقال : أَلَّا حَدَثَ حَدَثًا ، أَجْنِيتْ جَنَاهَةً ، قَالَ :
لَا . قَالَ : فَمَا بَالِ عُمَرٌ يَكْتُبُ فِيكَ ؟

فقدما على عمر قال أنس : فوالله إنا عند عمر وإذا نحن بعمرو أقبل في ازار
ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه : فقال : أين
المصري . قال : هأنذا قال : دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين .

فضربه حتى أختنه ، ونحن نشتئ أن يضر به فلم يتزع حتى أحبينا أن يتزع
من كثرة ما ضربه وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ثم قال : ضعها على صلة
عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من
ضربي .

قال : أَمَّا وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبْتَهُ مَا حَلَّنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَدْعُ
ياعمر : « مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أَمْهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟ »

ثم التفت إلى المصري وقال : انصرف راشدا فإن رايك ريب فاكتبه إلى .

الشرط أملك :

وفدت على عمر بن الخطاب ثياب من اليمن فأراد أن يقسمها بين الناس ،
فرأى فيها حلة ردية فقال : كيف أصنع بها إن أعطيتها أحدهما لم يقبلها إذا رأى
ذلك العيب .

فأخذها وطواها فجعلها تحت مجلسه بحيث لا يظهر إلا طرفها ، ووضع
سائر الثياب بين يديه على تلك الحال ، فرأى الزبير بن العوام طرف تلك الحلة .
فقال : ما هذه ؟ .

قال عمر : دع هذه عنك . قال الزبير : بل اعطيها إياها .
قال عمر : إنك لا ترضهاها . قال : بلى قد رضيتهاها ، فلما استوثق عمر

منه وشرط عليه أن يقبلها ولا يردها رمي بها إليه فلما أخذها الزبير ونظر إليها
وعرف ما بها من عيب قال : لا أريدها .

قال عمر : هيهات ، قد فرغت منها .

أصابت المسلمين مجاعة في عهد عمر بن الخطاب وحدث أن جاءته قافلة
تحمل اللحم والسمن والطعام والكساء . فوزعها بنفسه على الناس ، وأئ أن يأكل
منها شيئا ، وقال لرئيس القافلة : ستأكل معى في البيت ومني الرجل نفسه بطعم
شهى .

وجاء إلى البيت ، وأنبهكموا الجوع والتعب ، ونادى عمر فحضر الطعام ،
وكان ما أذهل الرجل وأدهشه :

كسرات من الخبز الأسود واليابس مع صحن من الزيت . قال الرجل : ما
يمنفك أن تأكل مما يأكل منه الناس ؟ قال عمر : قد آليت على نفسي ألا أذوق
السمن واللحم حتى يشبع منها المسلمون جميعا .

لو أن عزرا بشاطئ الفرات ذهب :
قال علي بن أبي طالب :

رأيت عمر بن الخطاب على قتب (عيير) فقلت :
يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟

قال : عيير ند (شد) من إبل الصدقة أطلبه ، فقلت : لقد أذلت الخلفاء
من بعديك .

قال عمر : يا أبا الحسن ، لا تلمى ، فوالذي بعث محمدا بالنبوة لو أن
عнациا (عزرا) ذهب بشاطئ الفرات لسئل عنها عمر يوم القيمة .
وهل ينام أمير المؤمنين ؟

عندما فتح عمرو بن العاص « قيسارية » سار حتى نزل غزة فبعث إليه
أميرها أن ابعث إلى رجلا من أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال : ما هذا أحد
غيري . وخرج حتى دخل على الأمير فكلمه ، فسمع كلاما لم يسمع قط مثله .

فقال الأمير : حدثني هل في أصحابك أحد مثلك ؟

قال : لا تسأل عن هذا ، إن هن علهم إذ بعثوا إلىك ،
وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرؤن ما تصنع بي .

بعث أحد الولاة رسولا إلى عمر . فلما وافى المدينة ليلا قال :

أنام في المسجد حتى إذا أسفر النهار أبلغت الرسالة .

فلما دخل سمع صوتا خافتًا ينادي .

فقال : السلام عليك يا أخي العرب .

قال عمر : من ؟ يرحمك الله .

قال أنا رسول والي مدينة كذا إلى أمير المؤمنين .

قال عمر : تعال هنا وقل ما عندك ، أنا عمر .

فتعجب الرسول . فقال له عمر : بقى ما ظنت ، يا أخي كيف أكون
مسئولاً وأنا ؟

والله لو ثمت نهارى لأضيعن الرعية ، ولو ثمت ليلى لأضيعن نفسى .

تركته يأمر وينهى :

لما مرض زياد ، دخل عليه شريح القاضى يعوده ، فلما خرج بعث إليه

مسروق بن الأجدع ليسأله :

كيف تركت الأمير ؟

قال : تركته يأمر وينهى .

قال مسروق : إن شريحاً صاحب تعريض فاسأله .

قال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

(يريد أنه أوشك على الموت) .

الصلوة جامعة :

نادى عمر بن الخطاب يوما « الصلوة جامعة » .

فلمما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! لقد رأيتنى وأنا أرعى على غنم خلالات لي من بني مخزوم ، فكنت أستعبد هن الماء فيقبض لي القبضة من التمر أو الزبيب ثم نزل .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسى فقالت لي :

أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد ، فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها قدرها .

استدان ولد لعمر بن الخطاب من أبي موسى الأشعري حين كان واليا على الكوفة أموالا من بيت المال ليتاجر بها على أن يردها كاملة غير منقوصة . وابتصر ولد عمر فربح ، فبلغ ذلك عمر فقال له :

- إنك حين افترضت من أبي موسى إثما أعطاك لأنك ولد أمير المؤمنين ، وإنك حين اشتريت أقصى لك البائعون لأنك ولد أمير المؤمنين ، ولما بعت زاد لك المشترون في الشمن لأنك ولد أمير المؤمنين ، لأجرم أن كان للمسلمين حق فيما ربحت ، ففاسمه نصف الربح واسترد منه القرض واشتد في العتب على أبي موسى لأنه أقرض ولد أمير المؤمنين من أموال المسلمين مala يفعله مع غيره من الرعية .

اقترن من الأهواب لأقرأ لكن :

كان عمر يمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ويقول : ألكن حاجة ؟ وأيتكن تريد أن تشتري شيئا ؟

فإنى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء ، فيرسلن معه بجواريهن فيدخلن السوق ووراءه من جوارى النساء وغلمانهن مala يحصى ، فيشتري لهن حوائجهن ، ومن ليس عندها شيء اشتري لها من عنده .

وإذا قدم الرسول من بعض الشعور يتبعهن بنفسه في منازلهم بكتب أزواجهن
ويقول :

- أزواجهن في سبيل الله وأنت في بلاد رسول الله إذا كان عندك من
يقرأ ، ولا فاقرئ من الأبواب حتى اقرأ لكن ، ثم يقول : الرسول يخرج يوم كذا
وكذا فاكتتبن حتى نبعث بكبكن .

ثم يدور عليهم بالقراءطيس والدواة ويقول :

- هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكن وير على
المغيبات فإذا خذت كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن وإذا كان في سفر نادى الناس في
المنزل عند الرحيل :

- ارحلوا أيها الناس .

فإذا استقلوا قام فرحاً بغيره وعليه غرائزتان أحدهما فيها سوق والأخر
فيها تمروين يديه قربة فيها ماء وخلفه جفنة .

كلما نزل جعل في الجفنة من السوق وصب عليه من الماء وبسط النطع
فكل من جاء به خاصم ، أو يسقى ، أو يطلب حاجة قال له :
- كل من هذا السوق والتمر .
لا تعجليه :

قال عبد الرحمن بن عوف : قدمت رفقة من التجار نزلوا المصلى فقال لي
عمر : هل لك أن تحرسهم الليلة .

فباتا يحرسونهم ويصليلان ما كتب الله لهم .

فسمع عمر بكاء صبي ، فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقى الله وأحسني إلى
الصبي ، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه ، فقال : اتقى الله وأحسني
إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه ،
قال :

- ويحك لأراك أم سوء ، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة .

قالت : يا عبد الله قد أبهر مني منذ الليلة (أى أضجرنى) انى أريده (أحوله)
عن الفطام فياًبي .

قال عمر : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للقطيم .

قال : وكم له . قالت : كذا وكذا شهرا .

قال : ويبحث لا تعجل عليه .

فصل الفجر وما يستعين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال :

- يا بؤساء لعمر ، كم قتل من الأولاد المسلمين .

ثم أمر مناديا فنادى :

- أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام
وكتب بذلك إلى الآفاق .

يا سارية الجبل :

بينما كان عمر بن الخطاب يخطب يوم الجمعة بالمدينة ، الفت من الخطبة
ونادى :

- يا سارية بن حصن : الجبل الجبل ومن استرعى الذئب ظلم فلم يفهم
المسلمون مراده .

فلما قضيت الصلاة سأله « على » قال عمر : أو سمعت ما قلت ! لقد وقع
في خاطرى أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من
وجدوه ، وإن جاؤزوه هلكوا فخرج مني هذا الكلام .

ثم جاء بعد من ميدان القتال من ذكر أنهم سمعوا صوتا في تلك الساعة يشبه
صوت عمر يقول :

« يا سارية الجبل » .

قال : فعدلنا إليه ففتح الله علينا .

بينما عمر يعيش في المدينة بالليل أتى على امرأة من الأنصار تحمل قربة فساحتها عن شائتها ، فذكرت أن لها عيالاً وأن ليس لها خادم ، وأنها تخرج في الليل فتسقيهم الماء وتكره أن تخرج بالنهار ، فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها .

وقال : اغدی على عمر غدوة يخدمك خادما .

قالت : لا أصل اليه .

قال : إنك ستتجدّينه إن شاء الله تعالى .

فَعْدَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا هِيَ بِهِ، فَعْرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي حَمَلَ عَنْهَا قُرْبَتَهَا فَذَهَبَتْ تَوْلِي !
فَأَرْسَلَ فِي لَائِحَةِ وَأَمْرٍ لَهَا بِخَادِمٍ وَنَفْقَةٍ .

یتوئی آمونا و یغفل عنان

عن أسلم قال :

تُورث (أي تشعل) قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حررة راقم ، حتى إذا كنا بصرار فإذا نار

يا أسلم إني أرى ها هنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا . فخر جنا
نهرول حتى دنو منهم فإذا امرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها
يتضاغون (أي يتضايرون) .

قال : وأى شيء في هذا القدر . قالت : ماء أسكنتهم به حتى يناموا والله

بینا و بین عمر .

قال : أَيُّ رَحْمَةٍ لِلَّهِ وَمَا يَدْرِي عُمُرُكُمْ .

قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا .

فأقبل على وقال : انطلق بنا ، فخرجننا نهرولا حتى أتينا دار الدقيق فأخرج
عدلا من دقيق وكبة شحم ، وقال : أحمله على .
قلت . أنا أحمله عنك .

قال : أنت تحمل وزرى يوم القيمة ؟

فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من
الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذري على وأنا أحر لك وجعل ينفع تحت القدر
فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته . حتى طبع لهم فأنته بصفحة فأفرغها فيها ،
فيجعل يقول لها :

- أطعهم وأنا أسطع لهم (أي ابسطه حتى يرد) .

أصابت امرأة وأخطأ عمر :

قال عبد الله بن مصعب :

خطب عمر رضوان الله عليه فقال :

- لا تزدوا مهور النساء على أربعين أوقية ، وإن كانت بنت ذي الفضة .
يعنى يزيد بن الحسين الحارقى ، فمن زاد أقيمت الزيادة في بيت المال . فقامت
امرأة من صف النساء طوبلة في أنفها فطس . فقالت :

- ما ذاك لك ؟ . قال : ولم ؟

قالت : لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَآتَيْتُمْ أَحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُلُوا مِنْهُ
شَيْئًا ، أَتَأْخُلُونَهُ بِهَتَانَا وَإِنَّمَا مِبْنَا ﴾ .

قال عمر رضوان الله عليه :

- امرأة أصابت وأخطأ عمر .

كان زهير بن أبي سلمى كثير المدح هرم بن سنان .

واللقت بنتان لستان بن أبي حارثة مع بنت لزهير بن أبي سلمى فقالت :
قد سرني ما أرى من هذه الشارة والنعمه عليك فقالت بنت زهير : إنها منكم
وكان هرم قد أنعم على أيها - فقالت :

- بلى والله لك الفضل ، أعطيناك ما يغنى وأعطيتمونا ما يبقي . (تعنى
حسن الذكر بالشعر) .

مالك عندي غير سهمك :

- بينما عمر يمشي في سكة من سكك المدينة إذا هو بصيبة تفيض هزلا ،
تقوم مرة وتقع مرة أخرى .

قال عمر : يا حوبتها ، يا بؤسها ، من يعرف هذه منكم ؟

قال عبد الله بن عمر : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟

قال لا :

قال : هذه احدى بناتك .

قال : وأى بناتك هذه ؟

قال : هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر .

قال : دعك وما صيرها إلى ما رأى ؟

قال : منعك ما عندك .

قال : ومنعى ما عندى منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب القوم لبناتهم إنك
والله مالك عندي غير سهمك من المسلمين وسعك ، أو أعجزك ، هذا كتاب الله
بيني وبينكم .

وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت :

- أشكو إليك قلة الجراذان .

قال : ما أحسن هذه الكلب ، أملأوا لها بيتها خبزاً وحاماً وسمنا .
إن رب أمير المؤمنين معنا :

يبنيا عمر يعش ذات ليلة ، إذ مر برحمة من رحاب المدينة فإذا هو ببيت
شعر لم يكن بالأمس فدنا منه فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه
 وسلم عليه ثم قال :

- من أنت ؟ قال : رجل من أهل الباادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيّب من .
فضله ، قال : ما هذا الصوت الذي اسمعه في البيت ؟ قال : امرأة تمُّخض . قال
هل عندها أحد ؟

قال : لا . فانطلق حتى أتي منزله ، فقال لأمرأته :
(أم كلثوم) هل لك في أجر ساقه الله إليك ؟

قالت : ما هو ؟ قال : امرأة غريبة تمُّخض ليس عندها أحد .
قالت : نعم . قال : فخذلي معك ما يصلح المرأة لولادتها . وحمل البرمة ومشت
خلفه ، وقال للرجل : أودّل ناراً ، ففعل ، فأُلقي تحت البرمة حتى انضجها .
وأنسنت المرأة ، فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع
الأعرابي بأمير المؤمنين : كأنه هابه فجعل يتتحى عنه . فقال له :

مكانك كما أنت ، فحمل البرمة فوضّعها على الباب ، ثم قال : أثتبّعها
ففعلت ، ثم أخرجت البرمة فوضّعها على الباب ، فقام عمر فوضعها بين يدي
الرجل . وقال : كلّ وبحلك فإنك قد سهرت من الليل ..
قالت :

عجزت يتعهد بها :

خرج عمر في سواد الليل فرأى طلحة ، فذهب عمر فدخل بيته ، ثم دخل
بيتا آخر ، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجز عميم مقعدة
فقال :

- ما بال الرجل يأتيك !

قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيبني بما يصلحني ويخرج عنى الأذى .

فقال طلحة لنفسه :

ثكلتك أملك طلحة ، عشرات عمر تبع .

جوار معن والرشيد :

قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة :

- كيف زمانك يا معن .

قال : يا أمير المؤمنين . أنت الزمان فإن صلحت صلح .

قال له : كبرت يا معن

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنك جلد .

قال : على أعدائك .

قال : وان فيك لبغية .

قال : هي لك .

القاضي الذي يتحجب عن الناس :

شبكا الناس إلى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين من أن القاضي الذي وكل إليه الفصل في أمورهم ، يتحجب عنهم يوم الخميس ويوم الجمعة ولا يغادر بيته قبل الضحى ، ولا يلقاهم في الليل أبدا .

واستدعي عمر القاضي ، ونقل إليه ما قاله الناس عنه :

وسأله : أصحيح ما قيل فيك ؟

قال القاضي : بلى يا عمر .

فبهرت عمر من أجاية القاضي وقال له : يكون هذا منك وعهدك بك عادلا

تقينا ؟

قال القاضي : إن لاحتجب يوم الخميس لأن غسل ثوبى الذى لا أملك
سواء ، وأتحجب يوم الجمعة لأن قى الله فى يوم لا ألقى فيه الناس .
وتأخر فى بيته حتى يضحي ، لأساعد امرأته العجوز فى خدمة البيت ، أما
إنى أقضى بين الناس فى النهار ولا أقضى بينهم فى الليل فلأنى جعلت النهار لعمر
وجعلت الليل لرب عمر

عندما علم أبو بكر بأن النبي يحدث الناس فى المسجد عن أنه أسرى به
قال : أود قد قال ذلك ، لكن كان قال لقد صدق ، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من
ذلك ، أصدقه في الوحي يأتيه من السماء .

وصية عمر :

عندما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تلك الطعنة القاتلة وأصبح إلى
الموت أقرب منه إلى الحياة ، لم يشغله جرحه ودماؤه عن أمر المسلمين . قال رضى
الله عنه : أوصى من يختارون بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ، ومخافة مقتله وأوصيه أن
يخشى الله في الناس ويخشى الناس في الله ، وأوصيه بالعدل في الرعية والتفرغ
لحوائجهم وثورهم ولا يؤثر غنיהם عن فقيرهم فإن ذلك سلامه لقلبه وحط
لوزره وخير في عاقبة أمره .

وأمره أن يستند في أمر الله وفي حدوده على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا
تأخذه في أحد رأفة حتى يتنهك منه مثلما انتهك من حرمة الله ، ول يجعل الناس
عنه سواء لا يالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذه في الله لومة لائم .

ليس لك ولكنهما للمسلمين :

نقل ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد : أن أبا سفيان زار ابنه معاوية في
الشام أيام ولادته عليها ، فلما رجع من عنده دخل على عمر بن الخطاب وهو أمير
المؤمنين فقال له :

أجدنا (أعطنا).

قال عمر : ما أصبنا شيئا فتجديك .

فأخذ عمر خاتم أبي سفيان وبعث به إلى هند زوجته وقال للرسول :

قل لها : يقول أبو سفيان : انظري الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فأحضرنيهما فلم يلبث الرسول أن أتى بالخرجين وفيهما عشرة آلاف درهم فألقاهما عمر في بيت المال .

فلما ولى عثمان الخلافة أراد ردها إليه فقال أبو سفيان :

ما كنت لأخذ مالا عابه عمر على والله إن لنا حاجة لكن لا ترد على من قبلك فيرد عليك من بعده .

قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما :

ما مبلغ دهائك .

قال عمرو : ما دخلت في أمر إلا عرفت كيف الخروج منه .

قال معاوية : ولكنني ما دخلت في أمر وأردت الخروج منه .

الإيضاح :

قيل : إن عمر بن الخطاب صر أربعمائة دينار وقال لغلامه : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها ، فتوجه الغلام إلى بيت أبي عبيدة وقال : يقول لك أمير المؤمنين عمر :

- اجعل هذه في بعض حوائلك .

فقال : وصله الله ورحمه واسبغ عليه النعم .

ثم دعا بمحاربته وقال : اذهب بي بهذه السبعة إلى فلان ، وهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها .

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجد قد عد مثلها لمعاذ بن جبل وقال له : انطلق بها إلى معاذ وانظر ما يكون في أمره ، فمضى إليه وقال له مثل ما قال لأبي عبيدة .

ففعل معاذ كما فعل ابو عبيدة .
ورجع الغلام إلى عمر وحدثه بما رأى .

قال عمر : إنهم أخوة بعضهم من بعض .

العز بن عبد السلام :

لما أراد السلطان قطز في مصر أن يفرض على الناس ضرائب جديدة يستعين بها في قتال التتار ، اعترض عليه « عز الدين بن عبد السلام » وقال : إنه لا يجوز أن يؤخذ شيء من الرعية إلا بعد أن يبيع العلماء والأمراء ما عندهم من المظارف أولاً .

وقال لأمراء المالك : إن الملك الصالح قد اشتراهم من بيت المال ولذلك فلا يجوز لهم أن يحكموا مصر وهم أرقاء ولا بد أن يعقد لذلك مجلس وينادي عليهم وبذلك يعتقون . وعارض الأمراء أولاً ، ولكنه أصر وصم ، فلما أصرروا غضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته حمارا آخر ، ومضى حتى بلغ خارج القاهرة ، هنالك لحق به العلماء والتجار فردوه ونادى على الأمراء واحدا واحدا وباعهم وبعض ثمنهم وصرفه في وجوه الخير .

كان عنبرة بن سعيد بن العاص صديقاً لعمر بن عبد العزيز قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولها بعد وفاة سليمان بن عبد الملك ، دخل عليه صديقه عنبرة وقال له :

إن سليمان كتب لك عطية ، ولم يبق إلا قبضها ، وقال : وأن ما يبني ويبنيك أعظم مما كان يبني وبين سليمان .

قال عمر : وما ذاك .

قال : عشرون ألف دينار .

قال عمر : إن عشرين ألف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين ، وادفعها إلى رجل واحد ، والله ما إلى ذلك من سبيل .

عمر بن العزيز :

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرض الذي مات فيه فقال :

— يا أمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركهم عالة ولا بد لهم من شيء يصلاحهم ، فلو أوصيت بهم إلى ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مثونتهم .

قال عمر : اجلسوني وادعوا إلى أبني .

فدعوهن لهم يومئذ اثنا عشر غلاما ، فجعل يصعد بصره فيهم حتى اغورقت عيناه بالدموع ثم قال :

— بنسى فتية تركهم ولا مال لهم . يا بني : إني قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا ترون على مسلم أو معاهد إلا ولكم عليه حق واجب . يا بني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا في الدنيا إلى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا في النار ، قوموا يا بني ، عصمكم الله ورزقكم .

قال مسلمة : مما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر .

بحبي بن أكثم :

لما ولى المؤمنون بحبي بن أكثم قضاء البصرة ، وكان من أبناء نيف وعشرين سنة ، أراد بعض أهل البصرة أن يعيره بذلك ، وبوضع منه . فقال : كم سن القاضي .

قال بحبي . سن عتاب بن أسيد حين ولاد رسول الله مكة .

الولاة :

وقد على أمير المؤمنين عمر بن العزيز : (بلال بن أبي بردة) فجعل يصلى ويطيل الصلاة .

قال عمر للعلاء : ترى ذلك تصنعا .

قال العلاء : أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين .

فأقى دار بلال بين العشاءين فوجده يصلى ، فقال له :

خفف فإن لي إليك حاجة ، فخفف وسلم .

قال : وما الحاجة .

قال له العلاء : تعرف منزلتى من أمير المؤمنين ومكاني في نفسه ، فإن أنا أشرت عليه بك في ولاية العراق فما تجعل لي !

قال : لك أجرتى لسنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم .

فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه ، فكتب له .

فأقى العلاء بالشرط إلى عمر فقال :

- إن بلا بلا قد غرنا بالله فكDNA نغير .

سأله عمر بن عبد العزيز ابن أبي ملكية عن « عبد الله بن الزبير » فقال :
ما رأيت نفسا أثبت من نفسه ، مر حجر من المنجنيق (في حصار
الكتيبة) وهو قائم يصلى بين جبهة وصدره ، فما خشع له بصره ولا قطع قراءته
ولا رکع دون الرکوع .

على بالسراج :

وفد على عمر بن عبد العزيز « بريد » من بعض الآفاق ، فاتحتى إلى بابه
ليلا ، واستأذن عليه فأذن له ، ودعا بشمعة غليظة فأوقدت ، وجعل يسأله عن
أهل البلد حتى إذا فرغ عمر من مسأله قال الرجل :

- يا أمير المؤمنين ، كيف حالك في نفسك وبدنك وكيف عيالك ؟

ففتح عمر الشمعة فأطفأها وقال :

- يا غلام على بالسراج فلما جيء به قال للرجل :

سل عما أحبت ؟

وقال: يا عبد الله ، إن الشمعة التي رأيتها أطفأتها هي من مال الله وما
ال المسلمين ، فكانت الشمعة بين يدي فيما يصلحهم ، وهي لهم ، فلما صرط
لشأنى وأمر عيالي ونفسى أطفأت نار المسلمين .

قال عبد الله بن عباس :

دخلت على عمر حين طعن فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين . أسلمت حين كفر الناس وجاحدت مع رسول الله حين خذله الناس ، وقبض رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف في خلافتك اثنان وقتلت شهيدا .

قال : أَعْدَ عَلِيًّا . فَأَعْدَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ عُمَرُ :

- والله الذي لا إله إلا غيره لو أن ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع .

درہمن کل یوم :

كان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجرى على نفسه من القيء درهماً . وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهرين كل يوم .

فقيل لعمر بن عبد العزيز :

- لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب .

قال : إن عمر الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يعنيني .
واشتري له رباح بن عبيدة قبل الخلافة رداء من خز مربيع ذا أكمام
بخمسيناتة فاستخدمته و قال :

- لقد اشتربته خشننا جداً.

شم اشتی له بعد المخلافة کسae بثانية دراهم فاستلانه .

عبد الملك بن مروان :

دخل رجل على عبد الملك بن مروان فكان لا يسأله عن شيء إلا وجد
عنه منه علمًا .

قال له أمير المؤمنين : أني لك هذا .

قال الرجل : لم أمنع قط علماً أفيده ، ولم أحترم علماً استفیده ، وكنت إذا
لقيت الرجل أخذت منه وأعطيت .

فليصحبني بخمس :

قال عمر بن عبد العزيز عندما ولى الخلافة :

من أراد أن يصحبني فليصحبني بخمس :

يدلني من العدل إلى مالاً أهتمد إلية .

ويكون لي على الخير عوناً .

وويلغنى حاجة من لا يستطيع إبلاغها .

ولا يغتاب عندي أحداً .

ويؤودي الأمانة التي حملها مني ومن الناس .

وقال علي بن أبي طالب : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا
متخفياً ، إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ،
وانتقض في يده أسمها ، واحتصر عنزته (عصاً لها زوج كالرمع الصغير) ومضى
قبل الكعبة والملاً من قريش بفنائتها .

فطاف بالبيت سبعاً متعمكنا ثم أتى المقام فصلّى ثم وقف على الحلق واحدة
واحدة يقول لهم :

« شاهت الوجوه ، من أراد أن تتكلله أمه ويتم ولده ، أو يرمي زوجته
فليلقنـى وراء هذا الوادي ». .

الحسنة بين السعيتين .

دخل عمر بن عبد العزيز على عبد الملك بن مروان يوماً .

وكان معه بنوه فقال عبد الملك :

كيف نفقتك ؟

قال عمر : الحسنة بين السعيتين يا أمير المؤمنين .

قال عبد الملك : فما هما ؟

قال عمر : **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**.

الوليد :

ورد في الأخبار أن الوليد كان صاحب بناء وعمارة فكان الناس يتلقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء والضياع ، وكان سليمان صاحب طعام وزواج ، فكان الناس يتلقون فيسأل بعضهم بعضاً عن الطعام والزواج والطلاق ، وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة فكان الناس في عهده يسأل بعضهم بعضاً عن الصلاة والصيام .

وروى أنه لما جاء رسول عمر بن عبد العزيز يقول له :

- يا أمير المؤمنين : إن قومك بالباب يسألونك أن تجري عليهم ، ما كان يجري عليهم من قبلك .

قال عمر : والله ما هذا المال لي وما إلى ذلك من سبيل .

زياد وجاره :

دخل رجل من أشراف البصرة على (زياد) وإلى العراق فقال له زياد : أين مسكنك في البصرة ؟ قال : في وسطها . قال زياد : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة . فلما خرج من عنده قيل له : إنه ليس كذلك في كل ما سأله وليس له من

الولد إلا واحدا وهو ساكن في طرف البصرة ، فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك
فقال :

— والله ما كذبتك ، لي تسعه من الولد قدمت منهم ثانية فهم لي ، وبقى
معي واحد فلا أدرى ألى يكون أم علَى ومنزلي بين المدينة والجبانة ، فأنَا
بين الأحياء والأموات ، فمتزلي وسط البصرة .

قال زياد : صدقت .

وقيل: غضب زياد . فأمر بضرب عنق الرجل فقال له الرجل :

— أيها الأمير : إن لي بك حمرة .

قال وما هي ؟

قال : إن ألى جارك في البصرة .

قال الأمير : من أبوك ؟

قال : والله لقد نسيت الآن اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم ألى
فبرد غضب زياد ورد كمه على فمه وضحك وعفا عنه .

أخاف الله إن كذبت :

لما نصب معاوية بن ألى سفيان ابنه يزيد لولاية العهد ، أقعده في قبة
حراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى (يزيد) حتى جاء رجل
ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية ، فقال :

— يا أمير المؤمنين : إنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف
ابن قيس جالس .

قال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر ؟ .

قال : أخاف الله إن كذبت ، وأخافكم إن صدقت .

قال : جزاكم الله عن الطاعة خيرا .

وأمر له بالدف ، فلما خرج الأحنف لقيه الرجل فقال :

ـ يا أبا بحر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وأبوه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال ، بالأبواب والأقفال ، فلمسنا نطمئن في استخراجها إلا بما سمعت .

قال الأحنف : يا هذا ، أمسك عليك ، فإن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجها .

الحاكم يتابع التاريخ البشري :

كان معاوية إذا انفتح من صلاة الصبح جلس إلى القاص ، حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيفتح مصحفه ويقرأ ، ثم يدخل إلى منزله فينظر في بعض أمره ، ثم يصلى أربع ركعات ، وفي الصبح يخرج إلى مجلسه فإذا ذكره ، فيحدثونه ويحدثهم ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون ، ثم يؤتي له بالغداء الأصغر ثم يخرج كرسيه إلى المسجد فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي فيقدم إليه الناس : الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ، ثم يدخل فيجلس على السرير ثم يقول :

ائذنوا للناس على قدر منازلهم فيدخل الناس فيقول لهم : ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا .

وف الليل يمضي صدرا منه في أخبار العرب وأيامها وملوكها وسياساتها لرعايتها ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارها وال Herb والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلامان مرتبون

قال الشعبي :

كنت جالسا عند شريح القاضي إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها ، وهو غائب . وت بكى بكاء شديدا ، فقلت : أصلحك الله ، ما أراها مظلومة .

قال : وما علمت ، قلت : ليكائنا .

قال : لا تفعل فإن إخوة يوسف جاعوا أباهم عشاء يكنون .

صف لى عليا :

سأل معاوية بن أبي سفيان يوماً رجلاً من أصحاب عليٍّ هو: ضرار بن حمزة فقال له: صف لى عليا :

قال ابن حمزة: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال معاوية: لا بد من ذلك.

قال ابن حمزة: أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر، وكان والله بجيبياً إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألهنا، وكنا والله على تقربيه لنا وقربه منا، لا نكلمه، هيبة له، ولا نبتدئه لعظمة في نفوسنا، يسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم في المسفية، يتيمًا ذا مقربة، أو مسكيña ذا متربة، ينصف اللھفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته. وكأنني به وقد أرخي الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محراه قابض على لحيته يتعلمل تعلمل السليم ييکي بكاء الحزین ويقول:

يا دنيا غری غیری ، إلی تعرست أم إلی تشوقت ، هیبات هیبات ، لا
حان حینک ، قد أبنتک ثلاثة لا رجعة لی فيک .

بكارة الھلالية :

استأذنت بكارة الھلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أست وغشى بصرها وضعفت قوتها، ترعش بين خادمين لها، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام.

وقال: كيف أنت يا حالة؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال معاوية: غيرك الدهر.

قالت : كذلك هو ذو غير ، ومن عاش كبير ، ومن مات قبر وذُكرها
معاوية بما كانت تقوله عنه في حربه مع على .

ثم قال لها : اذكري حاجتك .

قالت : أما الآن فلا ..

أبو هريرة :

كتب عمر إلى أبي هريرة وهو واليه على البحرين : يقول : استعملتك على
البحرين وأنت بلا نعلين . ثم بلغني عنك أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وست
مائة . فلما قدم أبو هريرة قال : كانت لنا أفراس تناجحت وعطيها تلاحت .

قال عمر : قد حسنت لك رزقك ومؤتك وهذا فضل فأدّه ..

قال أبو هريرة : ليس لك .

قال عمر : بلى والله ، اوجع ظهرك

ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه ثم قال :
- اثث بها .

قال : احتسبتها عند الله .

قال عمر : ذلك لور أخلتها من حلال وأديتها طائعاً يا أبو هريرة .

دعها فإن الحق أنت بها

جلس المأمون يوماً للمظالم ، فكان آخر من يقدم إليه - وقد هم بالقيام -
امرأة عليها هيبة السفر ، فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين .
فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمّة الله ،
تكلمي في حاجتك .

قالت : عدا الوالى على أرضى فاغتصبها منى وحبسنى فأبعدنى عن أولادى . فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه وقال لها :

- لقد ذهب صبرى وسال دمعى لما قلت .

والآن نذهب إلى صلاة العصر وغدا أحضرى معلم خصمك وبعد أيام أحضرت خصمها فلما رآها المأمون سألاها عن الخصم فقالت :

- الواقف إلى جانبك يا أمير المؤمنين وأشارت إلى العباس ابنه . فقال المأمون : يا يحيى خذه بيده وأجلسه معها فجلس الخصوم . وارتفع كلامهما على كلام العباس .

قال لها يحيى : يا أمة الله : إنك بين يدي أمير المؤمنين وأنت تكلمين الأمير فاخفضي صوتك .

قال المأمون : دعها يا يحيى ، فإن الحق أنتقها وأخرسه ثم أمر برد ضياعتها إليها وأمر بكتاب إلى العامل بيلدها يعيد إليها ضياعتها ويسهل معاوتها وأمر لها بنفقة .

من أى الناس أنت ؟

كان المأمون في الكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فإذا هو بجارية عربية خماسية القد . وبعد أن حدثها قليلا قال :

- يا فتى من أى الناس أنت ؟

قال : أو عندك علم بالأنساب ؟ قالت : نعم . قال لها : أنا من مصر الحمراء ، قالت : من أى مصر ؟ قال : من أكرمها نسبا ، وأعظمها حسنا ، وخيرها أما وأبا ، فمن تهابه مصر كلها ؟

قالت : أظنك من كنانة .

قال : أنا من كنانة ، قالت : فمن أى كنانة ؟ قال : من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطوطها في المكرمات يدا .

قالت : إذن أنت من قريش .

قال : أنا من قريش ، فأنت من أى قريش ، قال : من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ، قالت : أنت والله من بني هاشم قال : أنا من بني هاشم قالت : من أى بني هاشم ؟ قال : من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة .

عند ذلك قالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

الحمد لله على ما أعطى وما أخذ :

قصد عروة بن الزبير الخليفة الوليد الذى جمع له الأطباء من كل مكان ، ليداوروه من داء في ساقه ، وكان أن قرروا قطع هذه الساق . ولكن كيف ؟ عرضوا عليه الخمر ليسكروه فلا يحس بالألم فرفض ، قال : لا أستعين على قضاء الله بعصيته ، وأرادوه أن يشرب المرقد (البنج) فقال : لا . ولكنه قبل أن يقطعوا ساقه وهو يصل .

قال لهم : سأدخل في ذكر الله فإذا رأيتوني استغرقت فشأنكم بها ، فلما رأوه استغرق قطعوا اللحم بالسكين الحماة بالنار حتى إذا بلغوا العظم نشروا بالنشرار ، وهو يكبر ، ثم عمدوا إلى تعقيم ساقه ، فحملوا الزيت في مغارف الحديد ، حتى إذا غلى كwoo به فأغنى عليه .

فلما أفاق من غشيته رأى ساقه في أيديهم وقال : أما والذى حملني عليك إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى معصية قط .

وأدخلوا له رجلا ضريرا حتى لا يرى أن مصابه أعظم من مصاب غيره فقال :

اللهم إن كنت قد أخذت طرفا ، لقد أبقيت أطرافا ، والله الحمد على ما أخذ وما أعطى .

وكان عروة من أعظم القواد محاربا ، وأعلم العلماء ، فقيها .

نحن أسراك :

أقى بجمله من الأسرى إلى معن بن زائدة الشيباني ، فعرضهم على السيف
قال له بعضهم :

- أصلح الله الأمير ، نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا السخب
والقتل .

فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومن ينظر إليهم فلما فرغوا قال
الرجل :

أصلح الله الأمير ، كنا أسراك ، ونحن الآن أضيافك ، فانظر ماذا تصنع
بأضيافك .

قال : قد عفوت عنكم .

حج هارون الرشيد ذات عام وفيما هو يسعى : ثم رق درجات الصفا ،
فهتف به عبد الله بن عبد العزيز العمري فقال : يا أمير المؤمنين : انظر بطرفك إلى
البيت .

فنظر هارون وقال : قد فعلت . قال العمري :

- كم من الناس ترى ؟

قال الرشيد : ومن يخصيم إلا الله .

قال العمري : اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل يوم
القيمة عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك مسئول عن الجميع فانظر كيف تكون .
فبكى هارون .

الجواهر التي خطفها الطائر :

قصد جوهرى قادم من مدينة عدن بجواهر كثيرة إلى المنصور ابن أبي عامر
فلما استقبله قال له :

- إن صرة الجواهر التي كنت أحملها قد اختطفتها عند الشاطئ حداً .

بعث المنصور يسأل فيحيط التجار عنمن ظهرت عليهم علامات القراء فجأة
وسئل الرجل عن الجهة التي أخذ الطائر طريقه نحوها .

قال الرجل : إنه من مشرقا على سمت هذا الجبل الذي بلى القصر فجيء
بمشيخة أهل الرملة فأمرهم بالبحث عن الرجل .

فقالوا : ما نعلم إلا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بيننا ، وقد
ابتاع اليوم دابة واكتسي هو وولده ، فأمر المنصور بإحضاره فاستدناه وقال له :

- شيء ضاع وسقط إليك ماذا فعلت به .

قال : هو ذا يا مولاى .

وضرب بيده إلى صرة سراويله فأنخرجها بعينها فدهش التجار .

غضب عبد الملك بن مروان يوما فاشتد غضبه وكان ابنه حاضرا فلما
سكن غضبه قال له :

- يا أمير المؤمنين من قدر نعمة الله عندك وموضعك الذي وضعك الله به
وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب مارأى .

قال : كيف ؟ قلت : فأعاد عليه كلامه .

قال عبد الملك : أما تغضب أنت .

قال : ما يغنى عنى جوفي إن لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منه شيء .

ashedوا أني وهبت له هذا الملك :

كان السلطان نور الدين محمود يلعب الكرة في دمشق ليروض خيله ويرنها
على الجهاد ، فرأى رجلا يحدث آخر ويشير بيده إلى نور الدين فأرسل إليه يسأله
عن حاله .

قال : لي مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضي . فالقى نور الدين
الجو كان من يده وخرج من الميدان وسار إلى القاضي وهو حينئذ : كمال الدين
المشهر زوري .

وأرسل إلى القاضي يقول :

- إنني قد جئت محاكمًا ، فاسلك معى ما تسلكه مع غيري .. فلما حضر ساوى بينه وبين خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين .

قال نور الدين حيثند للقاضي ولمن حضر :

- هل ثبت لك عندى حق ؟

قالوا : لا .

قال : اشهدوا أنى قد وهبت له هذا الملك الذى حاكمنى عليه وهو له دونى ، وقد كنت أعلم أنه لاحق له عندى ، وإنما حضرت معه لئلا يظن أنى قد ظلمته .

هذا سعيد بن المسيب :

حج الوليد بن يزيد بن معاوية وهو خليفة ، وعمر بن عبد العزيز إذ ذاك والى مكة . فلما دخل المسجد ينظر في بنائه وقد جدده عمر ، أخرج الناس منه إلا (سعيد بن المسيب) فقد بقى في المسجد ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجه .

فقيل له : لو قمت ..

فأى أن يقوم قبل الوقت الذى يقوم فيه .

قيل : لو سلمت على أمير المؤمنين .

فأى أن يقوم إليه ..

فجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاءً ألا يرى سعيدا حتى يقوم .

فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال :

- من ذلك الشيخ : أهو سعيد بن المسيب ؟

قال عمر : نعم ، ومن حاله كذا وكذا فلو علم بمكانتك لقام فسلم عليك
وهو ضعيف البصر .

قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه .

فدار في المسجد حتى أتاه فقال :

- كيف أنت أيها الشیخ ؟

فرد سعيد دون أن يiarح مكانه :

- بخير والحمد لله .

هذه قصورهم وتلك قبورهم :

النقى هارون الرشيد وهو خليفة فى طريقه إلى الحج بـ (بهلول) الجنون
قرب الكوفة راكبا على قصبة وهو يعدو ، وخلفه عدد من الصبيان يطاردونه .

قال الخليفة لأصحابه : من ذلك ؟

قالوا : بهلول الجنون .

قال : اشتئى أن أراه فأتوني به غير مروع .

فجاءوا به فقال : السلام عليك يا بهلول .

قال بهلول : وعليك السلام يا أمير المؤمنين .

- كنت إليك في اشتياق .

- ولكن لم أشتق إليك .

- عظنى .

- وبم أعظمك . هذه قصورهم وتلك قبورهم !

- أحسنت ، فزدني .

- يا أمير المؤمنين : من رزقه الله مالاً وجمالاً ، فعف في جماله وواسى في
ماله ، كتب في ديوان الأبرار .

قال الرشيد : قد أمرنا أن تقضي ديونك .

قال بهلول : كلا والله ، لا يقضى دين بدین ، اردد الحق إلى أهله
واقض دين نفسك ، أتظن أن الله يعطيك ويسأني !
ثم عدا على قصبه راكضاً .

أربعة عشر يوماً :

قال ابن خلدون :

وَجَدْ بِخَطْ (عبد الرحمن الناصر) رَحْمَهُ اللَّهُ أَنْ أَيَّامَ السُّرُورِ الَّتِي صَفَتْ لَهُ
دُونَ تَكْدِيرٍ كَانَتْ يَوْمٌ كَذَا ، مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، مِنْ سَنَةٍ كَذَا ، وَيَوْمٌ كَذَا مِنْ شَهْرٍ
كَذَا ، مِنْ سَنَةٍ كَذَا ، وَعَدَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ فَكَانَتْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَاعْجَبَ أَيْهَا
الْعَاقِلُ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَدَمِ صَفَائِهَا . وَتَحْلِيهَا بِكَمَالِ الْأَحْوَالِ لِأُولَائِهَا ، هَذَا الْخَلِيفَةُ
الناصر خلف السعود ، المضروب به المثل في الارتفاع في الدنيا والصعود ، ملكها
خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تصف له إلا أربعة عشر يوماً
فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة : لا إله إلا هو .

قال أبو هريرة :

قدمت إلى عمر بثمانمائة ألف درهم .

فقال : إنك يمان أحمق ، إنما قدمت بثمانين ألفاً .

وقالت له امرأته : ما نمت الليلة .

قال : كيف ينام عمر وقد جاء الناس مال لم يكن جاءهم قبله منذ كان
الإسلام فلا يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده لم يضعه في حقه ..



الفصل الثالث

بطولة الحرب وإيمان الجهاد

يكشف التراث الإسلامي في مجال الجهاد وال الحرب عن صفحات كريمة تفيض قوة وبطولة وأرياحية ومرودة في نفس الوقت ، فالمسلمون لا يرون الحرب إلا دفاعاً عن دينهم وذوداً عن كلمة لا إله إلا الله ، فإذا انتهت الحرب كانوا كراماً وسامحاً لا يغدرون ولا يغلوون ولا يعرفون الظلم ، أو اللؤم ، وكل صفحات جهادهم آيات من الرحمة والإحسان والوفاء ، أما إنكار الذات فقد كان طابع البطولة لا يراد بها إلا وجه الله ولا يقصد بها إلى مطامع الدنيا ، أو الاستعلاء في الأرض .

أبو محجن والبلقاء :

كان سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين في العراق قد حبس (أبو محجن الثقفي) الفارس البطل ، لأنه جاء يطلب الحد لأنه شرب الخمر ، وأصبح في محبسه يوم القادسية ، فأخذ ينتظر وهو في قيده بشأن المسلمين ، فلما رأى ميمنة الجيش قد أصيب بضعف شديد ، طلب إلى زوجة سعد أن تطلقه ، وعاهدها أن يعود بعد المعركة فيربط نفسه في القيد وكانت تعرف فروسيته فأذنت له .

ولما كان سعد مريضاً يوم القادسية وقد أطل على الموقعة من مكان عال منبسطحاً على صدره ، فإن (أبا محجن) ركب البلقاء فرس سعد ، واندفع ينزل كالصواعق وينصر المسلمين ، ونظر سعد وعجب .

وقال : يا الله ، الضرب ضرب أبو محجن ، وهذه هي البلقاء ، ولو لا أنه في محبسه لظلت أنه هو ، فلما انتهت الموقعة عاد أبو محجن متسللاً فوضع نفسه في القيد ، فأرسل إليه سعد وعلم أنه هو ، فقال : يا أبا محجن ، لك على عهد الله إلا أضربك الحد أبداً بعد نصرك الله والمسلمين .

فأجاب أبو محجن : وأنا والله لن أشربها أبداً (أي الخمر) فقد كنت أشربها أنفة حتى لا تقول العرب : إني أخاف الحمد ، وأنا اليوم أتركتها رغبة في أن يقولوا : « خاف الله »

أول خيله في الصين وآخره في منابت الزيتون :

عندما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين على رأس جيش كثيف أرسل إلى ملكها وفداً على رأسه هبيرة .

فأعاده الملك ساخراً وقال له :

قولوا لصاحبكم ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإنما بعثت عليكم من يهلككم .

قال هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا وغراك . أما تخويفك إلينا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمنا القتل فلستنا نكرهه ولا نخافه .
هنا لك بعث لهم الملك بتراب بلاده ليطأه قائدتهم وبعض أولاده ليختتمهم ودفع الجزية .

يريد أن يستبقى وليس بياف :

عندما ظهر طاعون عمواس بين جند المسلمين في الشام أرسل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبيدة بن الجراح قائد المسلمين يتحال عليه ليرده إلى المدينة .

فكتب إليه يقول :

« إنه قد عرضت حاجة عندنا لا غنى فيها عنك فإذا أتاك كهانى هذا فإني أعمم عليك أن أتاك كهانى ليلاً أن لا تصبيع حتى تركب وإن أتاك نهاراً أن لا تمسي حتى تركب إلى » .

فلما وصل إليه خطاب أمير المؤمنين ابتسם وقال : قد عرف حاجته ،
يرحم الله عمر ، إنه يريد أن يستبقى ما ليس بياف .

وأرسل إليه يقول :

« قد عرفت حاجتك التي عرضت لك فخل عرمتك يا أمير المؤمنين فإني في جندي ولا أرحب بنفسى » .

ومات أبو عبيدة مع جنوده في هذا الوباء لما جاءه الموت قال لمن حوله : أن قولوا لعمر إنه لم يبق من أمانتي شيء إلا وقد قمت به وأدته إليه .

صاحب النقب :

حاصر مسلمة بن عبد الله حصنا في معركة فتح دمشق ، فندب الناس إلى (نقب) منه فما تقدم إليه أحد ، كان من يتقدم يواجهه سيل من نبال العدو فيرتد ، ومضى وقت طويل وال المسلمين يحاصرون الحصن دون أن يفتح لهم .

وفي يوم من الأيام ، شهد المسلمون رجلاً نحيلًا يتقدم متقدماً على فرسه لا يبالي وقع السهام التي انهالت عليه كالملطرون ، حتى بلغ النقب وفتح الباب لل المسلمين وكسر عالياً فاندفع المسلمون إلى داخل الحصن .

فلما انتهت المعركة ، نادى مسلمة يسأل عن صاحب النقب فلم يتقدم إليه أحد ، وظل كل يوم ينادي مناديه أن يتقدم صاحب النقب فلا يتقدم أحد .

عندئذ هدد الأمير وتوعده ، فإذا رجل نحيل ضامر يتقدم من خيمة القائد ويقول :

أنا أعرف صاحب النقب وأستطيع أن أدلكم عليه ، ولـى شـرط واحد أحـبـ أن أجـابـ إـلـيـهـ .

قال الأمـيرـ : وما هو ؟

قال : إنـ لاـ تسـأـلـنـىـ عـنـ اـسـمـىـ .

قال : لك ذلك ، أعاهدك .

قال : أنا هو ثم قام وخرج من الخيمة وذاب في غمار الجيش .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا ويقول في دعائه :

« اللهم احشرني مع صاحب النقب »

من ماله أم من مال المسلمين :

عندما فتح خالد بن الوليد الشام جاءته وفود المهنئين : ومنهم الأشعث بن قيس الذي مدحه بقصيدة فأجازه خالد بعشرة الآف فلما علم عمر بن الخطاب بعث بلال بن رباح يحاكم خالداً ويسألة :

- أمن ماله أجاز الأشعث ، أم من مال المسلمين ؟

فإن زعم أنها من اصابة أصحابها فقد أقر بذنبه وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف .

فذهب أبو عبيدة ودعا الناس إلى المسجد وحضر خالد عندئذ فعقله بلال بعماته ونزع عنه قلنسته وسأله :

يا خالد : أمن مالك أجزت عشرة ملايين أم من إصابة أصحابها ؟ فلم يجيء ولما أكثر عليه وأبو عبيدة ساكتاً شيئاً : قال خالد : إنها من مالي .

فأطلقه وأعاد قلنسته وعممه بيده ثم قال بلال لخالد معتذراً : نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موملينا .

ثم أقام خالد متبحراً ، لا يدرى أمعزول هو أم لا .

وكم أبو عبيدة عنه أمر عمر فلما بلغه خبر عزله من بعد ، عاتب أبو عبيدة فكان رده :

إني والله ما كنت لأردعك ما وجدت لذلك أبداً .

وامتصماه ١ :

قال الرجل القادم للمتصمم :

يا أمير المؤمنين : كنت بعمورية فرأيت بسوقها امرأة عربية مهيبة جليلة تساوم روميا في سلعة وحاول أن يتغفلها ففوتت عليه غرضه ، فأغلظ لها ، فردت

عدوانه بمثله ، فلطمها على وجهها لطمة فصاحت في هفة :
- « وامتصاصه » ..

فقال الرومي : وماذا يقدر عليه المتصاص وأنى له بي ؟
فأمر المتصاص بأن يستعد الجيش لمحاصرة عمورية فمضى إليها فلما استعصت
عليه قال : اجعلوا النار في المجانيف وارموا الحصون رميا متتابعا ففعلوا فاستسلمت
ودخل المتصاص عمورية فبحث عن المرأة فلما حضرت قال لها :
هل أجابك المتصاص قالت : نعم .

فلما استقدم الرجل قال لها : هذا هو المتصاص قد جاء وأخراك قال : قوله
فيه قوله .

قالت : أعز الله ملك أمير المؤمنين بحسبي من الجد أنك ثارت لي . بحسبي
من الفخر أنك التصررت فهل بإذن لا أمير المؤمنين في أن أغفو عنه وأن أدع مالي
له .

فأعجب المتصاص بما قالها
لأنه جديرة حقا بأن حاربت الروم ثارا لك . ولتعلم الروم أنها نعمت حينها
نقدرا .

كتيبة الأهوال :

عندما وصل سعد بن أبي وقاص إلى شاطئ دجلة ، ومعه جند المسلمين ،
وجدوا على مد البصر « المدائن » مدينة كسرى في عظمتها ، وقصره الأبيض في
بهاته . ولما لم يجدوا معابر ، استقر الرأي على أن يعبروا على خيولهم وتقدم عاصم
ابن عمر ومعه ستائة من أهل النجدة فساروا حتى بلغوا شاطئ دجلة يريدون أن
يعبروا أولاً إلى الشاطئ من الجانب الآخر .

فلما وجد رجاله يتربدون تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُتُبًا مُؤْجَلاً ﴾ .

ثم رفع رأسه فاقتجم النهر ، واقتجمه زملاؤه ، فلما رأى القعقاع بن عمرو الكتبية الأولى تتقدم في سباحتها ونظر ، فإذا العدو من الجانب الآخر يتأهبون لردها ، أمر سائر أصحابه المستائة فدفعوا خيولهم إلى النهر فدخلوه كما دخله عاصم وأصحابه ، وتولى العدو العجب لهذا الصنيع ، فلما رأوا عاصما وأصحابه يتوسطون النهر أرسلوا فرسانهم ليمنعوهم من الخروج ، ولقيتلوهم في الماء ورأى عاصم ذلك فقال لأصحابه :

- الرماح . الرماح ، أشرعواها وتونخوا العيون .

وخرجت كتبية الأحوال سالمة .

يوم سورة :

بعد أن فتح عبد الرحمن الناصر : مدينة (سورة) امتنى صهوة جواده ، وانطلق متوجولاً في ميادين القتال ، باحثاً عن جريح يواسيه أو حزين يعزيه ، وبينما هو يمر تحت أسوار المدينة سمع نحيب طفل يكى فأنصت ، ثم ترجل فإذا به أمام « وليد » لا يزال في لفائه ، مطروحاً بين الأعشاب ، فالتفت واحتضنه وأخفاه تحت عباءته .

ومضى حيث أقيم مضرب فسيح يستقبل فيه أصحاب البلاد وما كاد يصل حتى شقت صفوف الجندي امرأة فاقدة الصواب ، وقد حللت شعرها ، ومزقت ثوبها وأرسلت صوتها بالنواح والعويل ، فما أن رأت (الناصر) حتى صرخت فيه قائلة :

- أعد إلى « ولدى » أهذا هو العدل الذي تحمله إلينا ، أين ولدى ، طفل الرضيع الذي انزع من بين ذراعي ، أتعيده إلى يا عبد الرحمن ؟

وهنا رفع عبد الرحمن رداءه عن الطفل الذي حمله معه .

وقال : انظري ، أيكون هذا الطفل ولدك وكان الرضيع قد أحس أنه على مقربة من أمه ، فجعل يصرخ فرحاً مسروراً فأرسلت المرأة صيحة سرور ، واندفعت نحو الطفل تغمره بالقبلات .

وكتب عبد الرحمن الناصر في وصيته : أنه حكم الأندلس خمسين سنة ،
منها أربعة عشر يوما يعدها الأيام السعيدة ومن هذه الأيام يوم سحورة .

نأويه أو نفديه :

عندما انتصر صلاح الدين في معركة « حطين » ودخل بيت المقدس ظافرا
أظهر تسامحا ولينا مقرونين بالشفقة ، إزاء رحيل الفرنجة ، حتى إنه ترك للصلبيين
المدينة حتى لا يحرج شهورهم ووقف مناديه من مطلع الشمس إلى غروبها
يُنادي :

- هل أحد بغير مأوى فنأويه ، أو عاجز عن دفع الفدية فنعطيه وعفا عن سبعة
آلاف من العجزة ودفع بعضها من جيشه الخاص وسمح للفرنج المدنسين بأن يقيموا
إذا شاءوا .

وحمل الكهنة والناس ذخائرهم من غير أن يتعرضوا لأى أذى بل قدمت
الدواب لكثير من الذين لا يجدون ما يركبون .

وكان صلاح الدين في خلقه وسلوكه مقتدا برسول الله وبصالح المسلمين
ومن ذلك قوله لجنوده :

اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين
وأموالهم وذرارتهم معلقة بذمكم ، وإن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاء
إلا أنتم فإن ولیتم بأنفسكم والعياذ بالله طوى البلاد طى السجل للكتاب واعلموا
أن هذا عدو الله وعدونا ، قد وطى أرض الإسلام ، وقد لاحت لوائح النصر
عليه إن شاء الله .

قالوا : ليس لنا إلا رقابنا وهي بين يديك والله لا يرجع أحد منا عن
نصرتك إلى أن نموت .

وكان صلاح الدين يقول :

إنه متى يسر الله نفع بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت
وركبت هذا البحر إلى جزائره واتبعتهم فيها .

ما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة :

عندما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال :

طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي وما من عمل شيء أرجى بعد لا إله إلا الله من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، وأنا متعرس ، والسماء تهل علىي وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار فعليكم بالجهاد .

لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمج ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

إذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه في سبيل الله .

وفقد خالد بن الوليد قليسوته يوم اليرموك فقال :

– اطلبوها .

فحثوا ونظروا ، فلم يجدوها فما زال بهم يأمرهم ، ويلح في طلبها حتى وجدوها ، فإذا هي خلقة لا تساوى شيئاً فسئل عن ذلك فقال : اعمـر النـبـيـنـ فـحـلـقـ رـأـسـهـ فـابـتـدـرـ النـاسـ شـعـرـهـ فـسـبـقـتـهـ إـلـىـ نـاصـيـتـهـ فـجـعـلـتـهـ فـيـ هـذـهـ الـقـلـنسـوـةـ فـلـمـ أـشـهـدـ قـتـالـاـ وـهـىـ مـعـىـ إـلـاـ تـبـيـنـ لـىـ النـصـرـ .
وـالـلـهـ لـوـ أـعـلـمـ أـنـ وـرـاءـكـ أـرـضـاـ :

وقف عقبة بن نافع على شاطئِ «الخيط» ودفع حوافر فرسه في البحر حتى كاد يغمره الماء وهو يتطلع إلى الخيط في اتساعه ولا نهائيه وقال كلمته الخالدة :

« والله لو أعلم أن وراءك أرضًا لذهبت إليها غازيا في سبيل الله » .

وكان عقبة قد مضى في عشرة آلاف يزحف ويخترق تونس والجزائر والمغرب متنقلًا من نصر إلى نصر حتى وصل طنجة ، هنالك وقف عقبة ، فأخذ ينظر إلى الشاطئ الآخر حيث تستوي إسبانيا ، وفكَر في اقتحام البوغاز ولكنه

فضل أن يتجه جنوبا إلى بلاد السوس الأدنى ثم سار متوجهًا غرباً يفتح البلاد حتى وصل إلى شاطئ المحيط ، وكانت لحظة رهيبة في حياته .

ما رأيت ما ترون إلا بالأقلام :

عندما خرج أسد بن الفرات في عشرة آلاف مقاتل إلى ثغر سوسة ، ليغزو جزيرة صقلية . خرج الأمير وأهل العلم ووجوه الناس وأعيان الأمة لوديعه .

فوقف أسد السفينة وقال :

- لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يا معشر المسلمين ، ما ولت لي أب ولا جد ولا ية قط ، وما رأى أحد من سلفي هذا قط وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام .

فاجهدوا أنفسكم في طلب العلم وتذوينه وكابدوا عليه واصبروا على شدته فإنكم تتالون به الدنيا والآخرة .

التحام المفارزة :

عندما أراد خالد بن الوليد أن يقصد إلى الشام في جيشه لمواجهة الروم ، اختار الطريق الأشق ، والتمس رافع بن عميرة الطائفي دليلاً له فلما جاءه قال له :

- إنك يا خالد لن تطبق ذلك بالخيل والأنفال ، والله إن الراكب المنفرد يخشى فيها على نفسه . إنها خمس ليال لا يصاب فيها ماء .

قال خالد : لابد من ذلك فمر بأمرك .

قال : استكرووا إذن من الماء فمن استطاع أن يصر أذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله .

وطلب إلى خالد أن يجيئه بابل سمان فلما جاءوه بها عمد إليها فاظمأها حتى إذا بلغ بها العطش مبلغه أوردتها الماء عللاً بعد نهل فلما امتلأت صر أذنها وشد مشافيرها لعلها تختبر .

وانطلق خالد بالجيش يقتدمه رافع ، خلال خمسة أيام يسيرون في وحشة الصحراء ، وينزلون كل يوم فيأكل الرجال ، ويشربون مما معهم من الماء ثم يشقون بطون عدد من الأبل التي اخندوها حزانات ، ويخرجون الماء منها ، ويسقوه الخيل حتى بلغوا آمنين .

سأل الموقوس حاكم مصر عن المسلمين عند دخولهم ، فقال له أحد

رجاله :

رأيت قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة وليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهاية ، جلوسهم على التراب وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف كثيرهم من صغيرهم ، ولا السيد من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يختلف منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم .

كل رجل بألف :

عندما حاصر عمرو بن العاص حصن بابلدون ، واستمر الحصار زمناً بعث إلى عمر بن الخطاب يطلب إمداده بأربعة آلاف مقاتل ، فأرسل إليه عمر أربعة رجال . وقال: إن كل واحد منهم بألف هم الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، والمقداد بن أسود ، ومسلمة بن مخلد .

وعندما حاصر خالد بن الوليد مدينة الحيرة ، طلب من أبي بكر مددًا فأمده بـ رجل واحد هو القعقاع بن عمرو .

وقال: لا يهزم جيش فيه مثله .

روى الحسن بن سفيان في مسنده عن الحسين بن السائب :

قال: لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن معه :

- كيف تقاتلون؟

فقام عاصم بن ثابت ، فأخذ القوس والنبل وقال :

- إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا حتى تناهم الرماح كانت المداعسة حتى تتصف فإذا تتصفت وأخذنا بالسيوف كانت المجالدة قال النبي صلى الله عليه وسلم :

- هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كا قاتل عاصم .

أطأ الجنة برجتي هذه :

علم (عمرو بن الجموح) وكانت ساقه مكسورة أن أبناءه خارجون للقتال ، في سبيل الله ، فخرج يسبقهم فوقفوا جميعا في وجهه يمنعونه ذلك و يقولون :

- أما يكفيك حين نجاهد عنك ، أن الله يعذرك لساقيك المكسورة فصاح . فيهم : لماذا تمنعوني من دخول الجنة .

وقدم النبي يسأله دعوة الشهادة فلما دعا له الرسول رفع يديه وقال : اللهم لا ترجعني إلى أهل خاتما .

وقال : يا رسول الله : أئذنا استشهدت في سبيل الله أدخل الجنة برجتي هذه ؟ قال النبي : بل تدخل الجنة صحيحة فذهب يقاتل حتى استشهد .

قال النبي : والله لكأني أرى عمرو بن الجموح يمشي برجته هذه سليما في الجنة إن من الأنصار من لو أقسم على الله لأبره ومنهم : عمرو بن الجموح .

ما ضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم :

لما كانت الليلة التي دخل فيها المسلمون (نهاروند) وهي فتح الفتوح في فارس ، خرج عمر إلى خارج المدينة يتلمس الأخبار ، وقد أمعن في الطريق الذي يؤدى إلى فارس ، ومعه أصحابه ، فبصروا من بعد براكب توسم عثمان بن عفان أنه السائب بن الأقرع فلما دنا منهم وسلم .

سأله عمر عما وراءه فقال : البشري والفتح .

قال عمر : ماذا فعل النعمان : (أى النعمان بن مقرن) .

قال : زلت فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد .

قال عمر : إنا لله .

ولم يتكلّك أَنْ بَكَى حَتَّى نَشَجَ ، فَلَمَا سَكَنَتْ ثُوَرَةُ الْحُزْنِ سَأَلَ عَمْرَ عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَذَكَرَ لَهُ أَعْيَانَ النَّاسِ وَأَشْرَافَهُمْ .

ثُمَّ قَالَ : وَآخَرُونَ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ لَا يَعْرَفُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَمْرٌ : مَا ضَرُّهُمْ أَلَا يَعْرَفُهُمْ عَمْرٌ ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْرَفُهُمْ وَقَدْ أَكْرَمَهُمْ بِالشَّهَادَةِ .

دخل بشار بن برد على الخليفة المهدى وعنه حاله يزيد بن منصور الحميري فأنشده قصيدة فلما أتمها قال له يزيد :

- ما صناعتك ياشيخ ؟

قال بشار : أنتبِ اللؤلؤ .

قال : أَتَهْزَأُ بِي ؟ قَالَ : فَمَا يَكُونُ جَوَانِي لَمْ يَرِي شِيخاً أَعْمَى يَشَدُ شِعْرًا فِي سَائِلَهِ عَنْ صَنَاعَتِهِ .

أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ :

في موقعة الخندق خرج عمرو بن ود العامری مقنعا بالحديد ينادي جيش المسلمين : من يبارز فصاح على بن أبي طالب : أنا له يا رسول الله . قال النبي : إنه عمرو ، اجلس ، ثم عاد عمرو ينادي : ألا رجل ، وجعل يؤنثهم قائلا : أبن جن躺كم التي زعمتم أنكم داخلوها إن قتلت ، أفلأ تبرزون إلى رجلا فقام على مرة بعد مرة ، وهو يقول : أنا له يا رسول الله ، ورسول الله يقول له : اجلس إنه عمرو وهو يجيئه : وإن كان عمرا .. حتى أذن له فمشى إلى عمر بن ود ، فنظر إليه عمرو فاستصغره وقال له : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبي طالب .

قال : أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُرِيقَ دَمِكَ .

قال على : لَكَنِي وَاللَّهِ لَا أَكْرَهُ أَنْ أُرِيقَ دَمِكَ .

فغضب عمرو وأهوى إليه بسيفه ، واستقبل على الضربة بترسه فقدمه السيف وأصاب رأسه ، ثم ضربه على جبل عاتقه فسقط ونهض ، وسقط ونهض .
وثار الغبار فما انجل إلا عن عمرو صريعا وعلى واقف بجانبه يهلك ويكتير .

لا فرق عندى بين قائد وجندى :

بعد أن انتصر خالد بن الوليد في معركة اليرموك جاءه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتاب يأمره فيه باعتزالقيادة وتولية أبي عبيدة بن الجراح مكانه فما كان من خالد إلا أن امتنع وأطاع وتقى من أبي عبيدة مهنتها إياه بالقيادة وقال :

لا فرق عندى بين أن أكون قائدا ، أو جنديا في جيش المسلمين كنت أمرك فتطيعنى ، واليوم تأمرنى فأطيعك .

حسام الدين لؤلؤ :

بينما تدور المعارك بين المسلمين والصلبيين إذا بصاحب الكرك - وهو من ألد أعداء المسلمين - يفكر في مهاجمة المسلمين من البحر الأحمر ، وقد اتجهت سفنه إلى حصن (أيلة) لمحاصرته ، فأحرق ستة عشر مركبا من مراكب مصر وأحرق أطعمة كثيرة كانت معدة لمكة والمدينة .

وأرادت الحملة أن تقطع طريق الحاج ، وأن تمضي إلى المدينة لنبش قبر الرسول ، ونقل جسده الشريف إلى بلادها ، فلا يتمكن المسلمون من زيارته ، فلما وصل الخبر إلى مصر أرسل صلاح الدين « حسام الدين لؤلؤ » في جنود كثيفة ، فانقض على محاصري (أيلة) انقضاض العقاب وقتلهم شر قتلة ، وأوقع بهراً كثيم فلما فروا انطلق خلفهم وحاصرهم في شعب لا ماء فيها حتى استسلموا ، وقتل أغليهم وكان حسام شجاعاً خيراً عالماً بالبحر والقتال فيه ، وقد سار النصر في ركابه أينما سار .

قام منصور بن عمار بمحض على القتال ، وكان بين السامعين امرأة ، فطرحت رقعة كتبت فيها :رأيتكم يا ابن عمار تحضر على الجهاد ، وقد أقيمت

(ذؤابي) ضفائر شعرها - فلست أملك والله غيرها فبالله أجعلها قيد فرس غاز
فـ سـ بـ سـ يـ اللـهـ ، فـ عـ سـىـ اللـهـ أـنـ يـ رـ حـ مـ نـىـ .

فارجع المجلس بعد قراءة هذه الرقعة بالبكاء .

وثارت الحماسة في النفوس .

خولة بنت الأزور :

عندما أسر (ضرار بن الأزور) في معارك المسلمين مع الروم يوم (أجنادين) لم تلبث أخته (خولة بنت الأزور) أن مضت تحرض النساء على اقتحام المعركة لتخليصه من الأسر ، ولما لم يكن معهن سلاح اقتلعن أعمدة الخيام وأوتادها وحاربن بها الروم تحت قيادة (خولة) التي تنكرت في زي فارس ، وامتنطت جوادها وعليها ثياب سود وعمامة خضراء ، ولبسن سلاحها واحترقن صفوف الأعداء فظبوها فارسا ملثما ، فقتلن منهم عددا كبيرا ، وكان خالد بن الوليد وصحابه ينظرون إليها في دهشة وإعجاب ، ويتساءلون : من هذا الفارس العجيب .

وفـ الـ يـوـمـ التـالـيـ سـأـلـاـ خـالـدـ : منـ تـكـونـ اـ

فكشفت قناعها ، فعرف أنها خولة ، هنالك اشتعلت الحماسة في النفوس وتقدموا في شجاعة حتى فكوا أسر أخيها ، وعادت الحرب مرة أخرى ، وأسر ضرار بن الأزور ، مرة أخرى فاندفعت خولة مصيبة على الانتقام من الروم ، واقتحمت صفوف الأعداء باحثة عنه فلم توفق في العثور عليه ، فلما تقدم خالد في المعركة نحو (حمص) علم أن ضرارا وقع في الأسر بعد أن قتل من الروم عددا عظيما وأنه في طريقه إلى حمص يحرسه مائة فارس ، فدفع خالد رافع بن عميرة في مائة من الفرسان العرب طالبا منهم أن يلحقوا بهم وبخلصوا ضرارا ، وعلمت خولة فطلبت إلى خالد أن يأذن لها بأن تذهب معهم فقال : إن الليل قد أوغل وأخشى أن يصيبك سوء ولكنها سارت في قوة تسبق الريح ، وانقضت على القوم كالصاعقة وخلصت أخاه .

اللهم اجعلني أول شهيد :

أرسله سعد بن أبي وقاص في فتح فارس إلى (يزدجرد) أمير فارس فخاطبه في صراحة وقوه وكسرى يستمع إليه مأخوذا ، فأراد كسرى أن يذله فحمله التراب ، فرجع به إلى سعد فرحا وهو يقول : لقد جئتكم بأرضهم وقد صدق الله حدسه . وعندما قاد المسلمين في معركة نهاوند الفاصلة حمل رايته وكير تكيراته الثلاث ، واندفع في قوة فوق فرسه ، وقال : إنكم بين خيرين تنتظرون إحدى الحسينين من بين شهيد حى مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإني مكير ثلاثا ، فإذا كبرت الأولى فليتها من لم يكن قد تهيأ ، وإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه ، وليتها للنهوض ، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معى ثم رفع يديه وقال :

اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد في هذه المعركة .

وقد صدق الله دعوته فما كاد يندفع مقاتللا يطيح الرقاب بسيفه البatar وينقض في موج دافق من الدماء ، حتى انزلق زلفة اتهزها أحد الأعداء بسيفه فهو صريعا : ذلك هو النعمان بن مقرن بطل معركة نهاوند .

أما رسول الله فصالح :

عادت هند بنت عمرو بن حرام بعد معركة أحد وقد استشهد فيها زوجها وأخوها وأبnya ، فاستقبلها الناس يسألون عن المعركة ونتائجها فقالت :

أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

روى أن عبيدة الله بن عتبة بن مسعود وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ، باع دارا بثمانين ألف درهم .

فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا .

فقال : أنا أجعل هذا المال ذخرا لي عند الله تعالى . وأجعل الله سبحانه
ذخرا لولدي .

ثم تصدق رحمة الله بالمال كله .

روى الحافظ بن عساكر أن حبيب بن مسلمة قدم على عمر بن الخطاب في حجه
وكان حبيب تام القامة فسلم على عمر فقال له :

- إنك لفي قناعة رجل .

قال : أى والله وفي سنانها .

قال عمر : افتحوا له الخزائن فليأخذ ما يشاء ففتحوها له فعدل عن
الأموال وأخذ السلاح .

الفصل الرابع

ورع الفقهاء والقضاة

يقول جوستاف لوبيون : ما عرفت البشرية أعدل من المسلمين ، ولا ريب أنها كلمة حق ، فإذا رأينا صور الفقهاء واستعرضنا مواقف القضاة آمنا حقاً بأن العدل أساس الملك وأن الله ينصر الذين يقيمون العدل ويقطّعون في الحكم . ولقد كان فقهاء المسلمين أمناء على الشريعة صادقين مع ربهم وأنفسهم ، في مواجهة الملوك والحكام ، لا يخافون ولا يهابون ، يقولون كلمة الحق في وجه كل باع وظالم .

وكانوا علماء أعلاماً وجدوا لكل أمر مخرجاً ولكل مسألة جواباً ولكل مشكلة حلاً ، عقول نافذة وقلوب مؤمنة ، لا ترجوا غير رضاء الله وقد أضاء الله لها القلوب والعقول والنفوس فعرفت الحق ومضت إليه غير وانية .

هل ضيعناك ؟

كان للإمام أبي حنيفة جار إسكاف بالකوفة يعمل نهاره فإذا جاء الليل
رجع إلى منزله فنام على سطح منزله وينشد :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كربة وسداد ثغر
ولا يزال يشرب ويردد البيت إلى أن يغله النوم ، وكان الإمام يستمع إليه كل ليلة ، ثم اتفقه ذات ليلة فسأل عنه فقيل أخذنه العبس وهو محبوس ، فذهب الإمام فطلبته فأفرج عنه فأخذه معه وقال له : أترانا أضعناك .

قال : لا بل حفظت ووعيت جراك الله خيراً من صحبة الجوار والله على أن لا أشرب بعدها حمراً .

ساوم عمر رجلاً مرة على فرس يريد أن يشتريه منه ، فركبه ليجربه فعثر الفرس وكسرت ساقه .

فقال عمر : خذ فرسك فأني الرجل .

فطلب منه عمر أن يختار حكماً يتخصصمان أمامه ، فاختار صاحب الفرس
(شريحاً) فتحاكاً إليه فقال :

- يا أمير المؤمنين ، خذ ما ابتعت أورد كما أخذت .

قال عمر : وهل القضاء الا هكذا فسر إلى الكوفة ، وعيته قاضياً بها .

قوموا إلى هذا الفتى المطلي :

قيل إن الإمام الشافعى كان يجلس للعلم في حلقة إذا صل الصبح فيجيئه
أهل « القرآن » فيسألونه .

إذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل « الحديث » يسألونه فإذا ارتفعت
الشمس قاموا ، ..

ثم تستوى الحلقة للمناقشة والذاكرة ، فإذا ارتفع النهار تفرقوا ، ثم جاء
أهل اللغة والعروض والشعر والنحو حتى يأتي المساء والشافعى جالس في حلقة
وقيل : إن صوته كان أشبه بالصينج أو الجرس ، وكان إذا قرأ القرآن التفت حوله
الناس وعجزوا بالبكاء وقال بعض أتباعه :

كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا : قوموا إلى هذا الفتى المطلي الذي يقرأ
القرآن ، فإذا أتينا استفتح القرآن فتساقط الناس بين يديه وكثرة عجيجهم بالبكاء من
حسن صوته .

وقال الشافعى : لما حفظت القرآن دخلت المسجد أجالس العلماء وأحفظ
الحديث وكان منزلنا بمكة في شعب الحنيف وكانت فقيراً بحيث لا أملك ما أشتري
به القراطيس فكنت آخذ العظم وأكتب فيه ، حتى ملأت حجرة كبيرة بهذا
العظم ثم صبرت على نفسي عاماً كاملاً فحفظت ما كتبت على هذه العظام عن
ظهر قلب وقال في ذلك شعراً .

علئي معي أينما يمتد ينفعنى قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معى وإن كنت في السوق كان العلم في السوق

ما أتت شيئاً بغير علم :

كان الإمام البخاري يقوم من الليل مرات متعددة ، ويأخذ القداحة فيوري ناراً ويسرج ، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه .

قيل : وفي ليلة كان البخاري قد تعب من تصنيف كتاب التفسير فاستلقى على قفاه .

فقال له محمد بن حاتم : سمعتك يوماً تقول :

- إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط ، منذ عقلت ، فأى علم في هذا الاستلقاء .

قال البخاري : لقد أتعينا أنفسنا اليوم ، وهذا ثغر من الثغور ، خفت أن يحدث حدث من أمر العدو ، فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك .

قال جعفر بن الربيع :

أقمت مع أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه ، فإذا سئل عن الشيء من الفقه تفتح وسال كالوادي .

وعن أبي يوسف قال :

يینا أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لرجل :
- هذا أبو حنيفة لا ينام الليل .

قال أبو حنيفة : لا يتحدث عنى بما لم أفعل ، فكان يقوم الليل بعد ذلك .

ناشدتك الله ألا تفعل :

لقي الخليفة « المنصور » إمام دار المحررة (مالك بن أنس) في موسم الحج فقال له : إنه لم يبق عالم غيرك ، أما أنا فقد اشتغلت بالسياسة ، وأما أنت فضع للناس كتاباً في الفقه ، تهذب فيه رخص ابن عباس ، وتشدیدات ابن عمر ، وشواذ ابن مسعود ، ووظيفه توطيناً .

قال : فعلمته كافية التأليف .

فلما عاد في الموسم التالي واجتمع به قال المنصور :

- إن عزت أن أمر بكتبك هذه التي وضعت - يعني الموطأ - فتشيخ نسخا ثم تبعث إلى كل مصر من أمرصار المسلمين نسخة ، وأمرهم أن يعملا بما فيها ولا يتعدواها إلى غيرها .

قال له مالك : ناشدتك الله أن لا تفعل ، فإن الناس قد سبقت لهم أقوابيل وسمعوا أحاديث وروروا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وعملوا به ودانوا به من اختلافات أصحاب رسول الله ، وإن رذفتم عما اعتقلا شديد ، فدع الناس وما هم عليه .

ردوا على حافظة كتبى :

قال الإمام الغزالى :

قطعت علينا الطريق وأخذ اللصوص جميع ما معى ومضوا فتبعتهم فالتفت إلى رئيسهم وقال :

- ارجع وإلا هلكت .

قلت له : أسألك بالله أن ترد على حافظة كتبى بما فيها شيء تتبعون به .

قال لي : وما هي ؟ قلت : كتب في الخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها ، فضحك وقال :

- كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجددت من معرفتها وبقيت بلا علم .

ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى الحافظة .

فلما وافيت « طوس » أقبلت على الاشتغال بالعلم ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما بها وصرت بحثت لو قطعت على الطريق لم أتجدد من علمي .

مر عبد الله بن عمر بن الخطاب برابع مملوك ومعه غنم سيده فأراد أن
يمتحن أمانته فقال له :

- هل من جزرة (شاة تصلح لأن تخزر) .

قال الرايعي : ليس لها ربا .

قال ابن عمر : تقول له « إن الذئب أكلها » .

قال الرايعي : اتق الله .

دهاء القاضى إياس :

كان إياس بن معاوية القاضى من أكابر العقلاء ، وكان عقله يهدى إلى
سلوك طرق الذكاء والرجحان .

وكان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة فاتفق أن رجلاً أراد أن يحج
فأودع عند ذلك الرجل الأمين كيساً فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من
حججه جاء إلى ذلك الرجل وطلب كيسه منه ، فأنكره وجحده ، فجاء إلى
القاضى، إياس وقص عليه القصة .

قال القاضى : هل أخبرت بذلك أحداً غيرى .

قال : اللهم لا .

قال : فهل علم الرجل أنك أتيت إلى ؟

قال : اللهم لا .

قال إياس : فانصرف واكتم أمرك ، ثم عد إلى بعد غد ، فانصرف ، ثم إن
القاضى دعا ذلك الرجل المستدوع فقال له :

- حصلت لدى أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيء لها
موضعًا حصينا .

فمضى ذلك الرجل ، وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل ، فقال له القاضي إياس : امض إلى خصمك واطلب منه وديعتك فإن جحدك فقل له امض معى إلى القاضي إياس أتحاكم أنا وأنت عنده .

فلما جاءه الرجل دفع إليه وديعته .

قال : أنا الحجاج :

خرج الحجاج يوماً متزهاً فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد ، فإذا بشيخ من بنى عجل فقال له :

- من أين أية الشیخ ؟

قال : من هذه القرية .

- كيف ترون عمالكم ؟

قال : شر عمال ، يظلمون الناس ، ويستحلون أموالهم .

قال : وكيف قولك في « الحجاج » ؟

قال : ذاك ما ولـى العراق شر منه ، قبحه الله وقبح من استعمله .

قال : أتعرف من أنا ؟

قال : لا .

قال : أنا « الحجاج » .

قال الرجل : جعلت فداك أو تعرف من أنا ؟

قال : لا .

قال : فلان بن فلان ، مجنون بنى عجل ، أصرع كل يوم مرتين .

فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

قال الوالى زياد الحاجه عجلان :

إني وليتك هذا الباب وعزلتك عن ثلات :

عزلتك عن هذا المنادى إذا دعا للصلوة فلا سبيل لك عليه .

وعزلتك عن طارق بليل فشر ما جاء به ولو جاء بغير ما كنت في حاجته
وعن رسول صاحب الشغر فإن إبطاء ساعة يفسد تدبير سنة .

هل أضل هؤلاء :

عندما سجن الإمام أحمد بن حنبل في محنته جاءه المروزى تلميذه وقد طال
به الإصرار على رأيه ، والتعذيب فقال له :

- هؤلاء قدموك للضرب والله يقول : ولا تقتلوا أنفسكم . قال يا
مروزى : اخرج فانظر ، قال المروزى : فخرجت ونظرت في وجه دار الخليفة
فرأيت خلقاً كثيراً والصحف والأقلام بين أيديهم ، قلت : أى شيء تعلمون ؟

قالوا : ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه .

فرجع إليه وأخبره . فقال :

أفضل هؤلاء ! كلا .

بل أموت ولا أضلهم .

قال المروزى : رجل هانت عليه نفسه في سبيل الله .

القضى بيننا . قال : قضيت :

دخل رجل على القاضى يخاصم زوجته فقال :

السلام عليكم قال : وعليكم ، قال : إنى رجل من أهل الشام

قال القاضى : بعيد سحيق . قال الرجل :

ولاني قدمت إلى بلدكم هذا .

قال القاضى : خير مقدم .

قال الرجل : ولاني تزوجت امرأة ، قال القاضى . الرفاء .

قال الرجل : وإنى ولدت غلاماً قال القاضى : لتهنا بالفارس .

قال الرجل : و كنت شرطت لها صداقها .

قال القاضى : الشرط أملك .

قال الرجل : وقد أردت الخروج من بلدى .

قال القاضى : الرجل أحق بأهله .

قال الرجل : فاقض بيتنا .

قال القاضى : قد قضيت .

من عرفنى فقد عرفنى :

خرج أبو الحسن الأشعري من عزلته .

وقف فى مسجد البصرة بعد الصلاة الجامعة على أربعة عالى وقال : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى ، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع ، يا معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ، ولم يتراجع شيء على شيء ، فاستهديت بالله فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته في كتبى هذه ، وقد اخلعت عن جميع ما كنت أعتقده كما اخلعت من ثوابى هذا وشق أبو الحسن الأشعري ثوبه ورمى به .

وكان قد تبين للأشعري بعد أربعين سنة من الاعتزال خطل المذهب ، وأنه لا يطابق حاجات الإنسان الراغب إلى الرحمة والمغفرة ، وقد تصدى أبو الحسن الأشعري لمفهوم المعتزلة الذى أعلى العقل ، وعارض الوحي فأقام لل المسلمين مفهوما مستمدًا من القرآن والسنة وهاجم آراء المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج .

فرع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجحا وقد سبقهم إلى الصوت ، وقد استبرأ الخبر على فرس عربي لآن طلحة والسيف في عنقه .

وهو يقول : لن تراعوا ، لن تراعوا .

قال هشام لطاووس : عظني :

رفض (طاووس) الصرة التي أرسلها إليه من صنعاء : محمد بن يوسف الشقفي فطرحها رسول الأمير في كوة البيت وخرج ، فلما كان بعد حين بلغ الأمير أنه ينكر عليه شيئاً من أفعاله ، أرسل إليه يطلب المال الذي أعطاه .

فقال : (طاووس) للرسول : أين جعلته ؟

قال : في هذه الكوة : قال : فخذه .

فمد يديه فإذا بالصرة وقد نسج عليها العنكبوت فأخذها وذهب قال له هشام وقد دخل عليه : ما الذي حملت على ما فعلت !

قال (طاووس) : وهو ؟

قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تقبل يدي ، ولم تسلم على يامرة المسلمين ، ولم تكنى وجلست إزاً غير أذن .

قال طاووس : لأنني أضع نعلائي بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب على .

فأطرق هشام وقال : عظني .

قال سمعت عليا يقول : إن في جهنم حيات ، كالليل تلangu كل أمير لا يعدل في رعيته .

قال على كرم الله وجهه :

إننا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأينا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو .

أغلق بابي بما يجاوزه همي :

لما دخل الخليل بن أحمد في سكرات الموت بدأ أهله يبكونه ، فالتفت إليهم وقال :

- لا تبكونا فوالله ما فعلت فعلاً أخاف على نفسي منه ، وما كان لي فضل
فكراً صرفته إلى وجهه ، وددت بعد ذلك أنني كنت صرفته إلى غيرها ، وما علمت
أني كذبت متعمداً قط وأرجو أن يغفر الله لي التأويل .

وقد عاش الخليل حياة فقيرة ، فقد قام في شخص من اخصوص البصرة لا
يقدر على فلسين بينما أصحابه يتكسبون بعلمه الأموال ، كانت آية ذهنه اللماح أنه
يحاول أن يستخرج من الظواهر أصولاً تجمع في قانون واحد ، وبلغ من ورمه
وزهده وقناعته بما في أيدي الناس قوله :

- أني لأغلق علي بالي فما يجاوزه همي .

قام بأعمال ثلاثة ضخمة : رسم حركات الحروف أول مرة بعد أن كانت
العرب تتضع نقاطاً فوق الحروف ، وأنشأ علم العروض الذي حطم به نظرية
القائلين بأن النظم العربي لا ضابط له ، واكتشف سر الموسيقى وأصلها . أما
علمه الكبير فهو معجم : « كتاب العين » .

أتبون بكل ريع آية تعثرون :

وقف منذر بن سعيد على المنبر بعد ثلاث أسابيع انقطعت منها الصلاة
الجامعة في مسجد الزهراء الذي حشد له المنصور ألف عامل ، وفرشه بالرخام
المرمي ، وقف على المنبر وقال :

« أتبون بكل ريع آية تعثرون . وتسخنون مصانع لعلمكم تخليدون » وظل
منذر يقرع المنصور ، وقال له: لقد انصرفت إلى الزخرفة والبناء عن غزو الأعداء
ومغالبة الفرنجة وظل يقرعه حتى دمعت عيناً المنصور .

وذهب المنافقون يغرون به عزل منذر فرفض وقال :

- أمثل منذر في فضله وورعه وعلمه يعزل عن إرضاء نفس ناكبة عن
الرشد ، وإنى لأشتكي من الله ألا يجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل
منذر في ورعي وصدقه ، وكان منذر قاضي القضاة في الأندلس ، إماماً فقيها
وخطيباً شاعراً ، لم تؤخذ عليه خلال ولا يه قضية جور واحدة .

حدث أبو نصر قال :

رأيت أبا نواس يوما وهو يكتنف مسجدا فهالنى الأمر وعجبت لذلك
الشاعر الماجن المعروف بالمنكريات ، فكيف أراه على هذه الصورة .

فقلت له : ما هذا يا أبا نواس .

قال : أردت أن يرفع إلى السماء في هذا اليوم خبر طريف

اغمدوا سيفكم :

كان الخوارج حين دخلوا الكوفة قد انتهوا إلى مجلس أم حنيفة رضي الله
عنها ، فانتصروا سيفهم وقالوا :

- قد جئناك بمسأليتين فإن أجبت عنهما وإلا أرقنا دمك .

قال : أنصفوني وأغمدوا سيفكم فإن بريتها بهلواني .

فأبوا فقال : تكلموا .

قالوا : جنازتان على باب المسجد ، إحداهما جنازة شارب خمر شربها فمات
فيها غرقا ، والثانية : جنازة زانية حملت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت .

قال أبو حنيفة : أمن النصارى كانوا ، أم من اليهود .

قالوا : لا

قال : فمن أى الملل كانوا ؟

قالوا : من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله .

قال : أقول كما قال نوح عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرم ما منهم : « ما
علمني بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربهم » ، أو كما قال إبراهيم : « فمن
تعنى فإنه مني ومن عصانى فإنك غفور رحيم » ، أو كما قال عيسى : « إن تعذبهم
فإيهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

وأقول ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: « ولا أعلم الغيب ولا أقول إن ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتىهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم ، إن إذن من الظالمين ». .

فألقى القوم أسلحتهم وقالوا :

– نبرا إلى الله مما كنا عليه .

علمني خمسة أبواب من المذاهب : حجام :

قال الإمام أبو حنيفة :

أخطأت في خمسة أبواب من المذاهب فعلمنيه حجام ، وذلك لأنني أردت أن أحلق رأسي : فقال : أعراني أنت قلت : نعم و كنت قد قلت له : بكم يحلق رأسي : فقال : النسك لا يشارط فيه ، اجلس ، فجلست منحرفا عن القبلة فأؤمأ إلى باستقبال القبلة .

وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال :

– أدر شقك الأيمن من رأسك فأدرته . وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت .
قال لي : كبير ، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب .

قال : أين ترید . قلت : رحل .

قال : صل ركعتين ثم امض .

قلت : ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم .

قلت له : من أين لك ما رأيتك أمرتني به .

قال : رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا .

القراءة خلف الإمام :

ذهب قوم من أهل المدينة إلى الإمام أبي حنيفة يناظرونها ويتحاجونه في رأيه الذي يراه من أن قراءة المصلين خلف الإمام في الصلاة تكفي عنها قراءة الإمام .

قال : لا يمكنني مناظرة الجميع ، اختاروا لجدا لكم أعلمكم فاختاروه .

قال : هل إذا ناظرته لزمتكم الحجة لأنكم اخترتموه ، فجعلتم كلامه كلامكم .

قالوا : بلى .

قال : هكذا نحن اخترنا الإمام لقراءتنا وهو ينوب عنا .

كان عمر إذا ولـى واليا كتب عليه العهد : ألا يركب بـرـزـونـا ، ولا يـأـكـلـ نـقـيـا ، ولا يلبـسـ رـقـيـقا ، ولا يـغـلقـ بـابـهـ دونـ حاجـاتـ النـاسـ .

ومن قوله : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لأنكنت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء .

ذكر رجل عند النبي بالاجتهاد في العبادة ، حتى إنه كان لا ينتقل من صلاة ولا يفطر من صيام . فسأل النبي : من يقوم به .

قالوا : كلنا .

قال : كلّكم أعبد منه .

هذا النuman :

دخل الإمام أبو حنيفة على الإمام مالك في المدينة فرفعه ، ثم قال بعد خروجه : أتدرؤن من هذا ، قالوا : لا ، قال : هذا النعمان ، لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لمزجت كما قال :

وقال يزيد بن هارون : ما رأيت أورع من أبي حنيفة ، رأيته جالسا يوما في الشمس عند باب إنسان ، فقلت له : يا أبو حنيفة لو تحولت إلى الظل .

قال : لى على صاحب هذا البيت دراهم ولا أحب أن أجلس في ظل قباء
داره .

وأرسل أبو حنيفة إلى شريكه في التجارة مثاعا فيه ثوب معيب يبيعه ، وشرط عليه أن يبين عيده ، فباعه ونسى أن يبين ما فيه ، ولم يعرف المشتري ، فلما علم أبو حنيفة تصدق بشمن المثاع وكان ثلاثة ألف درهم .

قال رجل لعبد الملك بن مروان :

- إن أريد أن أسر إليك شيئا .

قال عبد الملك لأصحابه : إذا شتم . فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك :

- قف ، لا تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك ، ولا تكذبني فإنه لا رأى مكذوب ، ولا تغتب عندي أحدا .

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الانصراف :

قال له : إذا شئت .

احفظ عنى أربعا فيهن صلاح ملك :

خرج الزهرى يوما من عند الخليفة هشام بن عبد الملك فقال :

- ما رأيت كالبيوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام قال :

« يا أمير المؤمنين : احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك ، لا تَعِدْ عِدَّةً لا تتحقق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتفق وإن كان سهلا ، وإذا كان المنحدر ورعا ، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وإن للأمور بعثات فكن على حذر .

قال عيسى بن زاران: تحدثت بهذا الحديث إلى المهدى وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وقال :

- وبحكم أعد على ..

جاءوا إلى عمر بن الخطاب يقولون :

إن رجلاً ارتد عن الإسلام .

قال : ماذا فعلتم به ؟ قالوا : قتلناه .

قال : ويلكم هلاً أدخلتموه بيـتاً ، وأغلقتم عليه ، وأطعـتموه كل يوم
رغيفاً فاستـبـتموه فإنـا تـابـ وإلا قـتـلـمـوـهـ .

ورفع يديه إلى السماء وقال :

اللهم إني لم أشهد ، ولم أمر ، ولم أرض إذ بلغنى .

من قال لا أدرى فقد أفتى :

كان مالك بن أنس لا يركب دابة في المدينة تعظـيمـاً لـبلـدـفـيـهاـ أـقـامـ الرـسـولـ
ودفن ، يقول :

إـنـيـ لـأـسـتـحـيـ مـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ أـنـ أـطـاـ تـرـبـةـ فـيـهاـ نـبـيـ اللـهـ بـحـافـرـ دـاـبـةـ .

ولـدـغـتـهـ العـقـرـبـ وـهـ يـحـدـثـ حـدـيـثـ رـسـوـلـ اللـهـ فـلـمـ يـغـيـرـ مـجـلـسـهـ وـقـالـ :

إـنـاـ صـبـرـتـ إـجـلـالـاـ .

وجـاءـهـ رـجـلـ يـحـمـلـ مـسـأـلـةـ مـنـ بـلـدـ مـسـيـرـةـ سـتـ شـهـوـرـ فـقـالـ لـهـ :

ـ لـأـحـسـنـ .

حجـ هـارـوـنـ الرـشـيدـ ثـمـ شـخـصـ بـعـدـ الحـجـ إـلـىـ المـدـيـنـةـ وـأـرـادـ أـنـ يـسـمـعـ الـحـدـيـثـ
عـنـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ ، فـأـرـسـلـ يـسـتـقـدـمـهـ ، فـقـالـ مـالـكـ لـلـرـسـوـلـ :

ـ قـلـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ : إـنـ طـالـبـ الـعـلـمـ يـسـعـيـ إـلـيـهـ ، أـمـاـ الـعـلـمـ فـلـاـ يـسـعـيـ إـلـىـ
أـحـدـ .

وـأـذـعـنـ الـخـلـيـفـةـ وـزـارـ مـالـكـاـ فـدارـهـ وـلـكـنـهـ أـمـرـ أـنـ يـخـلـىـ الـمـجـلـسـ مـنـ النـاسـ ،
فـأـنـىـ مـالـكـ إـلـاـ أـنـ يـظـلـ النـاسـ فـيـ مـجـلـسـهـ وـقـالـ :

ـ إـذـاـ مـنـعـ الـعـلـمـ عـنـ الـعـامـةـ فـلـاـ خـيـرـ فـيـهـ لـلـخـاصـةـ .

قال الرشيد : صدقت .

سل يا أمير المؤمنين :

دخل الإمام على جامع البصرة فأنخرج القصاص وهو يقول : القصاص بدعة ، حتى انتهى إلى حلقة شاب يتكلّم على جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه فقال :

- يا فتى : أسألك عن شيء إن خرجمت منه تركتك تتكلّم على الناس ولا أخرجتك كما أخرجت أصحابك .

قال الحسن البصري : سل يا أمير المؤمنين .

قال : أخبرني ما صلاح الدين وما فساده ؟

قال : صلاحه الورع وفساده الطمع .

قال على : صدقت فتكلّم فمثلك يصلح أن يتكلّم على الناس ، وكانت دعوة الحسن البصري إلى محااسبة النفس ، وتخليص المجتمع من فساد الترف الذي دب إليه .

أحضر أعرابي ابنه إلى الخليل بن أحمد يعلمه ، فقال له الخليل يوماً وفي يده قدح زجاج : يا بني : صفت هذه الرجاجة ، فقال: بمدح أو ذم قال: بمدح قال: تريك ، لا تقبل الأذى ولا تستر ما روى قال: فذمها ، قال : سريع كسرها ، بطيء جبرها . قال: فصف هذه النخلة وأشار إلى نخلة في داره . فقال: بمدح أو بذم قال بمدح : قال : هي حلو مجتهاها ، باسق متهاها . ناضر أعلامها ، قال: فذمها قال : هي صعبة المرتفق بعيدة المحتوى محفوفة بالأذى .

قال الخليل : يا بني : نحن إلى التعلم منك أحوج .

أتريدون الحديث أم المسائل :

كان الإمام مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول :

- يقول لكم الشيخ : أتریدون الحديث ، أم المسائل ؟ فإن قالوا المسائل
خرج إليهم فأفتابهم ، وإن قالوا الحديث قال لهم اجلسوا .

ودخل مفتسله فاغتسل وتطيب ولبس جددا وتلقى له المنصة فيخرج إليهم
وعليه الششوع ويوضع عود ، فلا يزال يغمر حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فأخبار القضاة : أن سفيان بن حسين قال :

كان القاضي إياس جالسا فنظر إلى رجل دخل المسجد ، فقال : هذا الرجل
من أهل البصرة من ثقيف قد أرسل حاما له فذهب ولم يرجع إليه ، فقام رجل
فسأل ذلك الغريب فأخير عن نفسه بما قال إياس .

فسئل إياس : كيف عرف ذلك فقال :

أما معرفة البصري فلا أحد عليه ، وأما ثقفي فـإن لـثـقـيفـ هـيـةـ لاـ تـخـفـىـ ،ـ أـمـاـ
قولـ قـدـ حـاماـ لـهـ فـإـنـ رـأـيـهـ يـتـصـفـ بـحـمـامـ وـلـاـ يـرـىـ نـاهـضاـ ،ـ وـلـاـ طـائـراـ وـلـاـ سـاقـطاـ
إـلـاـ نـظـرـ إـلـيـهـ فـقـلـتـ :ـ قـدـ قـدـ حـاماـ لـنـفـسـهـ .

الفصل الخامس المجتمع الإسلامي المؤمن

تحفظ كتب التاريخ والتراث للمجتمع الإسلامي صورة زاهية في مختلف المواقف والظروف والأحوال : مجتمع نشأ في طاعة الله واستقام على أمره ، في فكاهته وجده ، في حركته وسكنه ، في حاكمه وعالمه في قارئه وسامعه ، الرحمة أساسه ، والأريحية عمارته ، والغيرة علامته ، والناس يعيشون بالحبة ويعاملون بالسماحة .

هو أكبر مني وأنا أحسن منه :

سأل سائل العباس بن عبد المطلب (عم النبي) .

أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال العباس : إن رسول الله أكبر مني ، وأنا ولدت قبله أو قال : هو أكبر مني وأنا أحسن منه .

أني أمى فقال لها : ولدت آمنة غلاما فخرجت لي حتى أصبحت آخره بيدي حيث دخلنا عليها فكأنى أنظر إليه بموضع (يمرك) برجليه في فراشه وجعل الناس تجدبني عليه ويقولون : قبل أخاك .

من أعز الناس ؟

كان الكسائي يؤدب الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد فأراد يوما الهوض من عندهما فابتدا إلى نعليه ليقدماهما له فتنازعوا أيهما يفعل ثم اصطلحَا على أن يقدم كل واحد منها واحدة .

فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجه إلى الكسائي دعوة .

فلما مثل بين يديه قال : من أعز الناس ؟

قال : لا أعلم أعز من أمير المؤمنين .

قال الرشيد : بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه ولها عهد المسلمين حتى يرضى كل منها أن يقدم له واحدة .
فأخذ الكسائي يعتذر حاسبا أنه أخطأ .

قال الرشيد : لو منعهما من تلك لأوجعتك لوما وعتبا ، ولألزمتك ذنبا
فما وضع ما فعلا من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين من جوهرهما فليس يكفي
المرء وإن كان كبيرا عن ثلات : تواضعه لسلطانه ووالديه ولعلمه .

لما أسلم عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبيه :
لقد أهدفت لي يوم بدر فضفت عنك ولم أقتلك .
قال له أبوه :

- لكنك لو هدلت لي لم أضف عنك .

حكى الجاحظ قال :

كنت في حانوت رجل عطار، وبينما أنا جالس معه إذ جاءه رجل من الطوافين يبيع العطر في طبق يحمله على يديه ، فدفع لصاحب الحانوت عشرة دراهم وابتاع منه أشياء سماها من العطر ، فلما أراد أن يمضى سقط الطبق من يده وانكب جميع ما فيه .

فبكى الطواف وجزع ، فنزلت إليه أصبرة وأواسية .

فقال الطواف : يا جاحظ ليس جزءي بضياع ما ضياع فلقد كنت في قافلة
ضياع لي (هميان)^(١) فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كلها فلم أجزع
لضياعها حيث كان لي غيرها من امثاله : ولكن ولدى هذه الليلة فاحتاجنا لأمه ما
تحتاج النساء ، ولم يكن عندي غير هذه العشرة الدراهم .

(١) الهميان : المخرج .

فقلت في نفسي : أشتري بها شيئاً من العطر وأطوف بها صدر النهار لعل الله يرزقني شيئاً أسد به رمق أهلي ، فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لي إلا الفرار .

وكان رجل من الجنديجالسا إلى جانبي يسمع الحديث قال : أريد أن تأتي بهذا الرجل إلى متزلي فلما ذهبنا أعاد الطواف عليه قصته فسألته عنـ (المميان) وفي أي موضوع سقط ، فوصف له المكان والعلامة . فقال الجندي : أتعرفه إذا رأيته قال : نعم إن فيه من الفصوص كيت وكيت فجاء الجندي بهميان فتحمه فوجده كما ذكر الرجل فقال له : خذ مالك بارك الله لك فيه .

ومتكلم مكة بأفلاد كبدها :

قصد عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص المدينة (وكانوا لا يزالون على الشرك) فلما سمع الرسول بقدومهم سر بهم وقال : - متكم مكة بأفلاد كبدها .

يقول خالد : لبست صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ، فلقيني أخي فقال : أسرع فإن رسول الله قد سر بقدومكم وهو يتضرركم . فأسرعنا المشي ، فاطلعت عليه فما زال - صلى الله عليه وسلم - يبتسم إلى حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة : فرد على السلام بوجه طلق .

فقلت : أشهد ألا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

قال الرسول : الحمد لله الذي هداك ، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلفك إلا إلى خير .

فقلت : يا رسول الله : ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهد لها عليك .

قال النبي : الإسلام يحب ما قبله

قيل : عرض محمد بن الجهم دارا للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضر الشهود ليشهدوا قال : بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص ، وكانت الدار بجوارة لداره ، فقال : وكيف لا يباع جوار من إذا سأله أعطيك وإذا سكت عنه ابتدأك وإن أسأت إليه أحسن إليك قال : فبلغ سعيدا فوجه إليه بمائة ألف درهم وقال : أمسك عليك دارك .

عبد الله بن عباس :

قال مسروق :

إذا رأيت ابن عباس قلت : أحجل الناس ، وإذا نطق قلت : أفصح الناس ، وإذا تحدث قلت : أعلم الناس ، وكان عبد الله إلى ذلك جميل النفس على الخلق متواضعا من غير ضعف ، قيل شتمه رجل فقال :

- إنك لتشتمني وفي ثلات :

إنك لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ، ولعلك لا أقضى إليه أبدا ، وإنك لأسمع الغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرخ به وما لى بها سائمة ولا راعية ، وإنك لآتي على آية من كتاب الله فوددت لو أن المسلمين كلهم يعلمون عنها مثل ما أعلم .

يقول : إن ليبلغنى الحديث عن رجل فاتى بايه وهو قائل (من القيلولة) فأتوكسد ردائى على بايه ، يسفى الريح على من التراب فيخرج فيرانى ، فيقول : - يا ابن عم رسول الله ، ما جاء بك ، هل أرسلت إلى فاتيك ، فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث .

رجل وامرأة وغلام :

حدث يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن الأشعث عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال :

- كنت امراً تاجرًا فقدت الحج ، فأتتني العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة ، وكان امراً تاجرًا ، فوالله إني لعنده بمنى إذا خرج رجل من

خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت : قام يصلى ، ثم خرجت امرأة من ذلك المخبأ الذي خرج منه الرجل فقامت خلفه تصلي ، ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك المخبأ فقام معهما يصلى .

قلت للعباس : من هذا يا عباس ؟

قال : هذا محمد بن عبد الله ابن أخي ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد ، وهذا علي بن أبي طالب بن عمّه .

قلت : ما هذا الذي يصنع .

قال : يصلى وهو يزعم أنهنبي ولم تتبعه إلا امرأته وهذا الغلام وهو يزعم أنه سفتح عليه كنوز كسرى وقيصر وكان هذا أول الإسلام .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكوا إليه عقوبة ابنه ، فأحضر عمر الولد وأبيه على عقوبه فقال الولد : يا أمير المؤمنين : أليس للولد حقوق على أبيه ؟
قال : بلى . قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : أن يتنقى أمه ، ويحسن اسمه ، وبعلمه الكتاب (القرآن) .

قال الولد : إن أبي لم يفعل ، أما أمي فكانت أمّة لجوسي وسماني (جعلاً)
أي (خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب شيئاً .

قال عمر للرجل : لقد عرفته قبل أن يعترك وأسألت إليه قبل أن يسأله
إليك .

إنك حجر لا تضر ولا تنفع :

قبل عمر الحجر الأسود وهو يطوف بالكعبة وقال :

قد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، أما والله لو لا أني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، يقبلك ما قبلك و كان الناس يأتون الشجرة التي بايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها ، فبلغ ذلك
عدر فأوعدهم فيها وأمر بها ققطعت وقال :

أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ، ألا لا أُوتى من ذي اليوم بأحد عاد مثلها إلا
قتلته بالسيف كما يقتل المرتد .

ذهب عمرو بن عدى الكفيف إلى امرأة كافرة تسمى « عصماء » بنت
مروان كانت تؤذى رسول الله وتطعن عليه ، ذهب إليها في جوف الليل ودخل
عليها بيتها وقتلها وهو أعمى .

وعاد فصل الصبح مع النبي وأخبره بما فعل وسأله :

- هل على في ذلك شيء ؟

قال الرسول : لا ينفع فيها عنزان

قال عمرو : ألي لأنقني تبعة أخواتها

قال النبي : لا تخفهم .

وسماه النبي : عمر البصير

عقد المؤثر :

قال علي بن أبي رافع :

كنت على بيت مال على بن أبي طالب وكاتبته ، فكان في بيت ماله عقد
لؤلؤة كان قد أصابه يوم البصرة ، فأرسلت إلى بنت على بن أبي طالب تقول :

- بلغنى أن في بيت مال عقد لؤلؤة وهي في يديك وأنا أحب أن تعيرنيه
أتجمل به يوم الأضحى ، فأرسلتها إليه عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام ،
وإذا أمير المؤمنين رأه عليها فعرفه فسألها عنه فقالت له ، فأرسل إلى فقال :

- أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع ؟

قلت : معاذ الله .

قال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين
بغير إذني ورضاهما .

قلت : قد وعدت بأن ترده سالما إلى موضعه
- رده من يومك ، وإياك أن تعود لملته فتنالك عقوبتي ، ثم قال : ويل
لابتي إن كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة ، لكان إذن
أول هاشمية قطعت يدها في سرقة .

إنى ملك وهو سوقة :

كان جبلة بن الأبيهم آخر ملوك بني غسان ، قد أسلم وخرج إلى مكة
حاجا فلما كان من بعض طوافه داس رجل من فزارة على طرف رداءه فحل ازاره
فلطممه جبلة فجدع أنفه ، فاستعدى الرجل عليه عمر . فدعاه وخيه بين أن
يترضي الرجل ، أو يقيده له منه .

فقال جبلة : مني وأنا ملك وهو سوقة ؟

قال عمر : إن الإسلام قد سوى بينكم وبينكم وجعلكم وإياه فلست تفضله إلا
بالقوى قال جبلة : قد ظنت أنني في الإسلام أكون أعز مني في الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا فإنك إن لم تترضي الرجل أقدره منك

قال : إذن أنصر

قال : إن تنصرت ضربت عنقك

ويحك سقيتى نارا :

قال أبو معاوية الضرير وكان من العلماء ومربي أبناء الرشيد :

- أكلت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل .

فقال لي : يا أبي معاوية : أتدري من صب الماء على يديك ؟

قلت : لا يا أمير المؤمنين ؟

قال : أنا .

قلت : ولم فعلت ذلك ؟

قال : فعلته إجلالا للعلم .

ركب زيد بن ثابت . فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بر kabeh فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل وعن خارجة بن زيد بن ثابت : قال : كان زيد إذا سئل عن شيء . قال : هل وقع ؟ فإن قالوا له : لم يقع . لم يخبرهم ، وإن قد وقع أخبرهم .

قال عمر بن الخطاب لخادمه ذات مساء : من أين هذا اللبن ؟

قال : إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها ، فحلبت لك ناقة من مال الله .

قال له عمر : وبحث سقيتني نارا ، ادع لي عليا .

فلما جاء على أتفى أمير المؤمنين فأحول له ما شرب .

والله ليسألك عن موقفك يوم القيمة :

أي أعراني إلى على بن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله شيئا ؟ فقال على :

- والله ما أصبح في بيتي شيء فضل عن قوتي .

فولي الأعراني هو يقول :

- والله ليسألك الله عن موقفك بين يديك يوم القيمة فبكى على بكاء شديدا وأمر بردہ وقال لخادمه قبر :

- الشئ بدرعي . فدفعها إلى الأعراني وقال :

- لا تخدعن عنها (أى لا يغشك أحد في ثمنها) فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله ..

قال قبر : يا أمير المؤمنين ، كان يكفيه عشرون درهما .

قال علي : يا قبر : والله ما يسرني أن لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدق
به ، وقبل الله مني ذلك ، وأنه يسألني عن موقفي هذا بين يديه .

قيل من جود عبد الله بن عباس : إنه أول من فطر جيرانه ، وأول من
وضع الموارد على الطرق . وأول من حيا على طعامه .

وكان يعطي الكثير فإذا قيل له :

ـ إن فلانا يرضيه القليل .

قال : إن كان يرضيه القليل فإنه لا يرضيني إلا الكثير ، وإن كان لا يعرفني
فأنا أعرف نفسي .

خذيه بأربعة دراهم :

جاءت امرأة الإمام أبي حنيفة تطلب ثوب خز فأخرجه لها وقال له : إن
امرأة ضعيفة وإنها أمانة ، فباعي هذا الثوب بما يُقْوِمُ عليك .

قال : خذيه بأربعة دراهم .

قالت : أتسخر بي وأنا عجوز كبيرة .

قال : إنني اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي
على الثوب بأربعة .

قيل للأحنف بن قيس : من تعلم الحلم .

قال : من قيس بن عاصم المنقري :

رأيته قاعدا بفناء داره يحدث قومه . حتى أتي برجل مكتوف ورجل
مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فوالله ما حل حبوته ولا قطع
كلامه . ثم التفت إلى ابن أخيه وقال :

ـ يا ابن أخي : رميتك نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال
للآخر : قم فوار أخاك وحل كثاف ابن عمك وسوق إلى أمه مائة ناقة دية ، فإنها
غريبة .

لم آثر الكلب :

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له ، فنزل عند قوم لدتهم عبد أسود ، وكان معه ثلاثة أرغفة فدخل كلب فدنا منه ، فرمى إليه برغيف فأكله ثم رمى إليه الثاني فأكله ، ثم رمى إليه الثالث فأكله .

قال عبد الله : كم قوتك كل يوم يا غلام ؟

قال الغلام : ما رأيت ، قال : فلم آثر الكلب ؟

قال : لأن أرضنا ليس فيها كلاب ، فلا بد أنه جاء من بعيد ، يدفعه الجوع ، فكرهت رده .

قال : فما كنتم صانعا اليوم ؟

قال الغلام : أطوى يومي هذا .

قال عبد الله بن جعفر : إن هذا والله لأسخى مني ، ثم اشتري الأرض والعبد ، ثم أعتقه حراً لوجه الله .

كان الإمام الليث بن سعد واسع الشراء . وكان لا يجارى في الكرم ومن عجائب كرمه أنه اشتري دارا ، فلما أرسل من يتسلمهما وجد بالدار أيتاما وأطفالا ، فسألوه ، أن يترك لهم الدار ، فلما أعلم الليث بذلك وهبها لهم ومعها ما يصلح شأنهم من المال .

ما أنا برأكب فرسى ولا بقاتلك :

قال عمرو بن معد يكرب وكان فارسا مغوارا :

خرجت يوماً حتى انتهيت إلى حى ، فإذا أنا بفرس مشيدود ورمح مركوز ، وإذا صاحبه في وحدها يقضى حاجته فقلت : خذ حذرك فإني قاتلك .

قال : من أنت ؟

قلت : أنا عمرو بن معد يكرب

قال : أبا ثور : ما أنصفتني ! أنت على ظهر فرسك ، وأنا في بشر .
فأعطيتني عهداً أذلك لا تقتلني حتى أركب فرسى وآخذ حذري فأعطيته عهداً لا
أقله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره . فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى
احتى بسيفه وجلس .

فقلت له : ما هذا ؟

قال : ما أنا براكب فرسى ولا بمقاتلك فإن نكثت عهده فأنت أعلم .
فتركته ومضيت .

تعال كاشت :

كان جعفر المنصور أيام بنى أمية إذا دخل البصرة دخل متكتها وكان يجلس
في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضلت الخلافة قدم أزهر إليه فرحب به وقربه
وسأله عن حاجته .

قال : يا أمير المؤمنين : دارى متهدمة ، وعلى أربعة آلاف درهم وأريد
توزيع ابنى محمد فوصله باثنى عشر ألف درهم .
وقال له : قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا طالباً فأخذها وارتحل ،
فقدم عليه بعد سنة فسأله المنصور عن حاجته فقال : جئت مسلماً .

قال : لا والله بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً فلا تأتنا طالباً
ولا مسلماً . فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه .

قال : ما حاجتك يا أزهر ؟

قال : أتيت عائداً

قال : لا والله بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً فاذهب ولا
تأتني بعد . طالباً ولا مسلماً ولا عائداً .

فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له : ما حاجتك ؟ قال : يا أمير
المؤمنين : دعاء كنت أسمعك تدعوه به جئت لأكتبه .

فضشك المنصور وقال : الدعاء الذى تطلبه غير مستجاب فإنى دعوت به أن لا أراك فلم يستجب لى وقد أمرنا لك باثنتي عشر ألفا وتعال كما شئت . فقد أعينا الحيلة .

مجنون حلو الكلام :

دخل مجنون حلو الكلام على أحد أمراء بغداد وبين يديه طبق لوز .

قال : أيها الأمير : ما هذا ؟

فرمى إليه واحدة ، فقال : « ثانى اثنين إذ هما في الغار » ، فرمى إليه بأخرى فقال المجنون : « فعززنا بثالث » فأعطاه ثلاثة فقال : « فخذ أربعة من الطير » فألقى إليه رابعة .

قال المجنون : « خمسة سادسهم كلبهم » فدفع إليه الخامسة ، فقال : « في ستة أيام » فجعلها ستة ، فقال : « سبع سمات طباقا » . فصبرها سبعة ، فقال : « ثمانية أزواج » فرمى إليه الثامنة فقال : « وكان فى المدينة تسعة رهط » فرمى بالتسعة إليه ، فقال : « تلك عشرة كاملة » فرمى بالعاشر إليه .
فقال : « إن رأيت أحد عشر كوكبا » فأعطاه إياها ، فقال : « إن عددة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » فأكمل له اثنى عشر فقال : « إن يكن منكم عشرون صابرون » فدفع إليه عشرين فقال : « يغليوا مائتين » فأمر برفع الطبق وقال : كل ، لا أشعن الله بطنك .

قال : والله لو لم تفعل ذلك لقرأت لك :
« وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » .

الدنيا حلم والآخرة يقظة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري يقول :
- اجمع لي أمر الدنيا وصف لي الآخرة . فكتب إليه الحسن البصري
يقول :

أما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت متوسط ، ونحن في أضياع
أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب
نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم ختم زين خاف سلم ، ومن اعتبر
فارجع ، وإذا ندمت فاقلع ، وإذا جهلت فاسأل . وإذا غضبت فأمسك . واعلم
أن أفضل الأعمال ما أكرمت النفوس عليه .

روى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل إلى قائد البحر
قال : أنفذ الآن مركبا إلى أفريقيا يأتون بأخبارها فلما عاد قال : ذهبت في
المركب فبينما أنا في جوف الليل والبحارون يجدون إذا بصوت يقول : يا الله يا الله
يا غياث المستغيثين ويكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا : ليك
ليك . وتوجهنا نحو الصوت فألفينا الرجل غريقا في آخر رمق في الحياة فأخرجهنا
من البحر وسألناه عن حاله فقال : كنا مقلعين من أفريقيا فغرقت سفينتنا منذ أيام
وما زلت أسبوع حتى وجدت الموت فلم أشعر بالغوث إلا من ناحيتكم .

آكل الرفاق وأليس الدقاد :

كتب يحيى بن زيد التوفلي إلى مالك :

بلغني أنك تلبس الدقاد وتأكل الرفاق وتجلس على الوطء ، وتحجل على
بابك حاجبا ، وقد جلست مجلس العلم ، وقد ضربت إليك المطى وارتخل الناس
إليك ، واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع .

فأجاب مالك :

أما ما ذكرت لي أنى آكل الرفاق وأليس الدقاد وأحتجب وأجلس على
الوطء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله ، وقد قال تعالى : « قل من حرم زينة الله
التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وإن لا أعلم أن ترك ذلك خير من
الدخول فيه .

روى أن رجلاً قدم إلى معاوية فقال له :

- سألك بالرحم التي بيني وبينك

قال معاوية : أمن قريش أنت . قال : لا . قال : فمن سائر العرب . قال :

لا ، قال : فآية رحم بيني وبينك

قال : رحم آدم !

فابتسم معاوية وقال : رحم محفوظ والله لأكون أول من يصلها . وقضى حاجته .

حفظ القرآن في عام :

وفد غائب بن صعصعة على علي بن أبي طالب ومعه ابنه الفرزدق فقال له : من أنت قال : غائب بن أبي صعصعة .

قال : ذو الإبل الكثيرة . قال : نعم قال : فما فعلت بإبلك .

قال : أذهبتها التواب ووزع عنها الحقوق .

قال : ذلك خير سبيلها

ثم قال له : يا أبو الأخطل وهو أخو الفرزدق غير الأخطل غياث بن غوث

- من هذا الذي معلك ؟

قال : ابني وهو شاعر

قال : علمه القرآن خير له من الشعر

فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآل عليها أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة .

استاذن رجل على هارون الرشيد فقال :

- إني أصنع ما تعجز الخلائق عنه قال الرشيد : هات فأخرج أنبوبة فصب

فيها إبرا عدة ، ثم وضع واحدة على الأرض ، ثم قام على قدميه فجعل يرمي إبرة

إبرة فتقع كل إبرة في عين الإبرة الموضوعة حتى فرغ لعبه فأمر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار .

فسئل عن جمعه بين الكرامة والهوان

فقال : وصلته بجودته وذكائه ، وأدبه لكي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول .

إني لا آخذ على كرمي ثنا :

قيل لقيس بن سعد :

- هل رأيت قط أنسخى منك ؟

قال:نعم : نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له :

- إنه نزل بنا ضيفان

فجاء بناقة فنحرها وقال : شأنكم (أى عليكم بها) فلما كان العد جاء بأخرى فنحرها وقال : شأنكم

قلنا : ما أكلنا من التي خرت البارحة إلا القليل .

قال : لا أطعم ضيوف طعام أمس .

فبقينا عنده أياماً والسماء تمطر وهو يفعل ذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا لأمراته :

- اعتذر لنا إليه ، ومضينا

فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا : قعوا فوقنا ، فلما دنا منا قال «خذلوا دنانيركم ، فإني لا آخذ عن كرمي ثنا وإن لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا .

فأخذناها وانصرفنا .

قال أبو تمام الطائي : إن لأنى العتاهية بضعة أبيات ما شاركه فيها أحد ولا قدر على مثلها متقدم ولا متاخر ، منها قوله :

والناس في غفلتهم ورحي المنية تطحن
قوله :

ألم ترأن الفقر يرجى له الغنى وإن الغنى يخشى عليه من الفقر
قوله :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى زوال
اخrog عنى فلست آمن على نفسي :

قال إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك :

هررت من عدوى فمررت على الكوفة فإذا باب كبير ، ورجل وسيم ما إن
رأني حتى سألني عن أمري .

قلت : رجل خائف ومستجير بك .

فأجارتني ، وقدم لي خير ما عنده

وكان يركب كل يوم في الفجر ولا يرجع إلا في المساء .

فسألته في ذات يوم فقال :

- إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي ظلما ، وأنا أطلبه لأدرك
ثأري .

قلت له : يا هذا قد وجب حملك . أنا إبراهيم فخذ ثأرك .

فتبسم مني ، قلت : إنه الحق .

فتغير وجهه وأحررت عيناه ، وفكك طويلا ثم قال :

- لن أنقض عهدي واحرج عنى فلست آمن على نفسي وأعطاني ألف
دينار فرفضتها .

قال أحدهم : نزلت في بعض القرى وخرجت في الليل حاجة فإذا أنا
بكفييف على عاتقه جرة وفي يده سراج ، قلت له :

- أنت والليل والنهر عندك سواء : فما معنى السراج قال : حملته معى
لذلك يستضيء به فلا يعتر في فأقع وتنكسر الجرة .

لتعلم أن هناك من هو أجود منك :

روى عن معن بن زائدة قال :

لما هربت من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن أقمت أياما وخففت لحيتي وعارضتى ولبست جبة صوف غليظة .

قال : فتبعنى أسود متقلدا سيفا ، حتى إذا غبت عن باب حرب ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض على وقال : أنت معن بن زائدة .

قلت : يا هذا ، اتق الله ، أين أنا من معن ؟

قال : دع عنك هذا فأنا والله أعرف لك

قلت : هذا جوهر حملته معى بأضعاف ما يبذل المنصور لمن جاءه بي فخذله ولا تسفك دمى .

قال : هاته ، فنظر إليه ساعة ثم قال :

- إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني :

هل وهبتك قط مالك كله

- قلت : لا .

قال : فنصفه .

قلت : لا .

قال : ثلثه .

قلت : لا .

حتى بلغ العشر فاستحييت

فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله رجل ورزق عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألف دينار قد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المأثور بين الناس .

إن كان فيها عتكل ففيها رقٌ :

أنفذ عثمان بن عفان بمائة دينار إلى أبي ذر الغفارى رضى الله عنه وقال

لغلامه :

- إن قبل ذلك فأنت حر .

فحملها إليه ، فلم يقبلها . قال الغلام :

- أقبل ففيه عتكل .

قال أبو ذر : إن كان فيها عتكل ففيها رق .

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد في مجلسه وكان ذا
عزة وثروة ونفس ألبية .

فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين .

قال : من ظلمك

قال : إن عمارة بن حمزة غصبني ضيعتني .

قال المنصور : يا عمارة قم فاجلس مع خصمك للقضاء .

قال عمارة : يا أمير المؤمنين إن كانت الضيضة له فلست أنازعه فيها ، وإن
كانت لي فقد وهبها له .

حدث الشيخ أحمد العتر رحمه الله أنه زار القاضي يحيى في داره يوم عيد
فارأى أن يفاتحه الكلام فقال :

- يا مولانا صدق من قال : لو أنصف الناس استراح القاضي .

فاستوى القاضي يحيى وكان جالسا وقال بحدة :

- كلا : لو أنصف القاضي لاستراح الناس .

سار شهرا من أجل حديث رسول الله :

قال السيوطي في حسن المعاشرة :

إن جابر بن عبد الله بلغه أن عند عبد الله بن أنيس الجهنى الأنصارى حدثنا
في القصباش عن رسول الله قال جابر :

فخرجت إلى السوق فاشترىت بغيرا ثم شددت عليه رحلا ، ثم سرت إليه
من المدينة شهرًا فلما قدمت مصر ، سألت عنه حتى وقفت على بابه فسلمت :
فخرج غلام أسود فقال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبد الله فدخل عليه
فذكر فقال : قل له صاحب رسول الله ؟

فخرج الغلام فقال ذلك قلت : نعم

فخرج إلى والتزمني والتزمته

قال : ما جاءك يا أخي .

قلت : حديث تحدثت به عن رسول الله في القصباش ، لم يبق أحد يتحدث
به عن رسول الله غيرك ، أردت أن اسمعه منك ، قبل أن تموت ، أو أموت
قال عمرو بن العاص :

ما رأيت أحداً كلام عمر رضي الله عنه إلا رحمته ، لأنه كان لا يخدع أحداً
لفضله ، ولا يخدعه أحد لفطنته .

رأى أرباب أو خدعة أديب :

قدم عمر بن الخطاب إلى الشام على حمار فتلقاء معاوية في موكب نبيل .
فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً فقال له عبد الرحمن بن عوف :
- أتعبت الرجل فأقبل عليه .

قال عمر : يا معاوية . أنت صاحب الموكب مع ما بلغنى من وقوف ذوى
ال حاجات بيابك .

قال نعم : يا أمير المؤمنين

قال: ولم ذلك ؟

قال : لأننا في بلاد لا تمنع من الجوايس ولا بد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فإن أررمته بذلك أقمت عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت .

قال عمر : إن كان الذي قلت حقا فإنه رأى أربيب ، وإن كان باطلًا فإنها خدعة أديب . لا آمرك ولا أنهاك .

قال العتبى : أسر معاوية إلى أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان حديثا .

قال عمرو : فأتيت أبي فقلت له :

- إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا ، فأحذثك به ؟

قال : لا . من كتم سره كان الخيار في يده فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا

قلت : أو يكون هذا بين الرجل وأبيه

قال : لا ، ولكن أكره أن تعود لسانك إذاعة السر

ألك ألف دينار وأنت أحمق :

قلل الأصمى :

قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب :

- أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟

قال : لا والله

فقلت : ولم ؟

قال : أخاف أن يجني على حمقي جنائية تذهب مالي ويفنى على حمقي .

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهمما :

- إنك من أبى الناس بأيمك ولسنا نراك تأكل معها

قال : إنني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعاقها بذلك .

كان الرشيد يعجبه غناء الملاحين في الزلزلات فإذا ركبها فدعا الشعراء إلى أن يعملوا لهم شعراً يغفون فيه فقالوا : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس . فوجه إليه الرشيد أن يقول في ذلك شعراً ولم يأمر بإطلاقه ، فقال : والله لأقولن شعراً بحزنه ، ولا يسره فكان مما قاله :

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجمروح
لدواعي الخير والشر دنو وزر زوح
هل مطلوب بذنب توبة منه نصوح
فبكى الرشيد فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين
فسكتوا .

أسقيك قال : اسق أخي .

عن حذيفة العدوى قال :

كنت أسقى الجندي يوم اليرموك وإذا أنا يابن عم لي بين القتلى فقلت :
أسقيك فأشار إلىَّ : أى نعم ، فإذا برجل يقول آه ، فأشار ابن عمى أن انطلق
إليه وأسقيه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار إلىَّ أى نعم ،
فسمع آخر يقول آه ، فأشار إلىَّ أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت
إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات .

قيل لعبد الملك بن مروان :

- أسرع إليك الشيب .

قال : كيف لا وأنا أعرض عقل كل جماعة على الناس .

وقيل : انه ارتج على عثمان وهو على المنبر فقال : أهذا الناس أنتم إلى أمير
فعال أحوج منكم إلى أمير قوله .

إن الله يقفك ويسألك :

دخل عمرو بن عبيدة على الخليفة المنصور فقال :

أمير المؤمنين : إن الله عز وجل يقفك ويسألك عن مثقال ذرة من الخير والشر ، وإن الأمة خصماً لك يوم القيمة ، وإن الله لا يرضي منك إلا بما ترضاه لنفسك ، وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك ، وأن الله عز وجل لا يرضي منك إلا بأن تعدل في الرعية .

شهد الفضل بن الربيع وزير الرشيد عند أبي يوسف القاضي ، فلم يقبل شهادته ، فعاتبه الخليفة في ذلك وقال له :

- لم ردت شهادته ؟

قال أبو يوسف :

- لأن سمعته يوما يقول للخليفة :

- أنا عبدك ، فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد وإن كان كاذبا فلا شهادة للمكاذب ، وإذا لم يمال في مجلسك بالكذب فلا يمال في مجلسي .
لو غيرك قالها يا أبا عبيدة :

لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع خفيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره .

فقال له أبو عبيدة : لقد صنعت اليوم شيئاً عظيماً عند أهل الأرض .

فصل عمر في صدره وقال :

- أوه ، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كثتم أذل الناس وأحقر الناس ، فأنزعكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله .

وقدم عمر مكة فأقبل أهلها يسعون فقالوا :

يا أمير المؤمنين إن أبا سفيان ابتنى دارا فحبس عنا سبيل الماء ليهدم منازلنا .

فأقبل عمر ومعه الدرة فإذا أبو سفيان قد نصب أحجارا فقال : ارفع
هذا ، فرفعه ، ثم قال : وهذا . وهذا حتى رفع أحجارا كثيرة خمسة أو ستة .
ثم استقبل عمر الكعبة .

فقال : الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان بطن مكة فيطعه .

الفصل السادس المراة المسلمة

قدمت المرأة المسلمة في التاريخ نموذجاً لا مثيل له في تاريخ المرأة كله ، الكرامة والإيمان والصدق والوفاء ، غير الإسلام طبعتها وحوّلها إلى معرفة الله ، وأداء حق الرجل ، وحماية العرض ، ورعاية الطفل وبناء الأسرة ، كن الدافعات للرجال إلى البطولة والنصر ، وكن المحرضات على الجهاد ، الالهى يرقبن الرزق فلا يقبلن منه إلا الحلال ، إن صورة المرأة في تاريخ الإسلام جد كريمة وعظيمة .

كما في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا :

قال عمر بن الخطاب :

والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل ، وقسم هن ما قسم ، فيبينا أنا في أمر ائتمره ، إذ قالت لي امرأ : لو صنت كذا وكذا ، فقلت لها : مالك أنت ؟

قالت لي : عجبا يا ابن الخطاب ... إلى أن قالت له : وإن ابنته لتراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان فأخذت رداً ثم انطلقت حتى دخلت على « حفصة » فقلت لها : يا بنية : إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان .

قالت : إننا والله لتراجعه

ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقربابتي منها فكلمتها فقالت : عجبا لك يا ابن الخطاب ، قد دخلت في كل شيء ما ينبغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه .

فسر لي : حتى اختار لنفسه :

تقدّم سهيل بن عمرو وأبو سفيان خطبة هند بنت عتبة فدخل عليها أبوها
فأخبرها الخبر فقالت :

يا أبتي فسر لي أمرهما وبين لي خصاهمما حتى اختار لنفسه أشدّهما موافقة
لي .

فبدأ يذكر سهيلاً فقال : أما سهيل فهو من خيار العشرة وثروة من
العيش ، إن تابعه تابعك وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمين عليه في أهله
وزمانه .

أما أبو سفيان فموضع عليه منظور إليه في الحسب الحبيب ، والرأي الأريب ،
مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الطيرة ، لا ينام على ضعة ولا
يرفع عصاه عن أهله فقالت هند :

يا أبتي : الأول سيد مضياع للمرأة فما عست أن تلين بعد إياها وتصنع
تحت جناحه ، إذا تابعها أهلاها فأشرت ، ومخافها أهلاها فأمنت ، فسأءلت عن ذلك
حالها ، وقبع عند ذلك دلاتها . فإن جاءت بولد أحقت ، وإن أنجبت فمن خطأ
ما أنجبت فاطفو ذلك عنى ولا تسمه لي .

أما الآخر فعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وإلى التي لا أريب له
عشيرة فغيره ، ولا يصيبه بذعر فتضيره ، وإلى لأخلاق مثل هذا لموافقة
فروعجنيه .

الشاة لا تخاف سلطتها بعد ذبحها :

دخل عبد الله بن الزبير على أمه « أسماء ذات النطاقين » يشكوا إليها تفرق
أنصاره قالت له :

يا بني إن كنت على حق فامض لما تؤمن به
قال : أخاف إن قتلوني أن يمثلوا في

قالت : إن الشاة لا تخاف سلخها بعد ذبحها
كان تقيا ورعا ، صواما قواما طويلا الصلاة عظيم الشجاعة بلغ من
شجاعته أنه بعد أن تفرق عنه أنصاره حمل على أعدائه .
وكان يضرب بسيفين . وهو أول مولود مسلم ولد بعد الهجرة ، شب في حجر
النبوة ، أبوه الصحابي الذي شهد المعارك كلها وأمه ذات النطاقين .

خرج عبد الله بن المبارك إلى الحج فاجتاز بعض البلاد ، فمات طائر معهم
فأمر بإلقائه ، فخرجت جارية من دار قرية فأخذت الطائر الميت ولفته ،
وأسرعت به إلى الدار فلما سألهما : لم أخذت الميتة ؟ قالت : إنها وأخاها قبران لا
يجدان شيئا ولا يعلم بهما أحد .

فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لوكيله : كم معلك من النفقة . قال :
ألف دينار ، قال ابق منها عشرين دينارا ، واعط باق ألف إلى الجارية ، وعد بما
إلى « مرو » فهذا أفضلي من حجنا هذا العام ورجعوا ولم يحج .

هجرتان لا هجرة واحدة :

لما قدمت أسماء بنت عميس من أرض الحبشة قال لها أحد الصحابة : يا
حبشية سبقناكم بالهجرة

فقالت : أى لعمري لقد صدقت . كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم
ويعلم جاهلكم وكنا نبعدهم الطردا . أما والله لأنفسنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلاأذكرن ذلك له ، فأفتت النبي فقالت : يا رسول الله إن رجالا يغمرون
 علينا ويزعمون أن لسنا من المهاجرين الأولين . فقال النبي :

- بل لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرتهنون بمكة ، ثم
هاجرتم بعد ذلك إلى المدينة .

بعث ابن الزبير إلى السيدة عائشة رضي الله عنها بغرارتين فيما مال يبلغ
مائتي ألف درهم وكانت صائمة ، فدعت بطبق فجعلت تقسم بين الناس ، ثم
أمّست فقالت : يا جارية .. هاتي فطري .

فقالت أم ذرة : أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفترضين

عليه

قالت عائشة : لو كنت ذكرتني لفعلت

أفي صدورهم أم في ظهورهم :

كانت النساء في الجاهلية قد رثت أخاهـا « صخرا » وهـزـتـ الدـنـيـاـ

بالـحـدـيـثـ عـنـهـ حـتـىـ بـالـغـتـ فـيـ رـثـائـهـ مـبـلـغاـ كـبـيرـاـ حـيـنـ قـالـتـ :

إـنـ صـخـرـاـ لـتـأـمـ الـهـدـاـ بـهـ كـأـنـهـ عـلـمـ فـيـ رـأـسـ نـارـ

فـلـمـ أـسـلـمـتـ غـيرـ إـسـلـامـ مـفـاهـيمـهـ وـقـيمـهـ حـتـىـ أـنـهـ قـدـمـتـ فـيـ يـوـمـ

وـاحـدـ ،ـ هـوـ يـوـمـ الـقـادـسـيـةـ تـحـرـضـهـمـ عـلـىـ الشـهـادـةـ :

أـيـ بـنـىـ :ـ إـنـكـمـ أـسـلـمـتـ طـائـعـينـ وـهـاجـرـتـ مـخـاتـرـينـ ،ـ وـالـلـهـ الـذـىـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ
إـنـكـمـ لـبـنـوـ رـجـلـ وـاحـدـ كـمـ إـنـكـمـ بـنـوـ اـمـرـأـ وـاحـدـةـ مـاـ خـنـتـ أـبـاـكـمـ ،ـ وـلـاـ فـضـحـتـ
خـالـكـمـ ،ـ وـلـاـ هـجـنـتـ حـسـبـكـمـ ،ـ وـلـاـ غـيـرـتـ نـسـبـكـمـ وـرـابـطـوـ وـاتـقـواـ اللـهـ لـعـلـكـمـ
تـفـلـحـونـ .ـ فـيـذـاـ رـأـيـمـ الـحـرـبـ قـدـ شـمـرـتـ عـنـ سـاقـهـ ،ـ فـيـمـمـوـ وـطـيـسـهـ وـجـالـدـوـاـ
رـئـيـسـهـ تـظـفـرـوـ بـالـغـنـمـ وـالـكـرـامـةـ فـيـ دـارـ الـخـلـدـ وـالـقـيـامـةـ .ـ أـيـ بـنـىـ :ـ اـطـلـبـوـ الـمـوتـ
تـوـهـبـ لـكـمـ الـحـيـاةـ .

فـلـمـ اـنـتـهـتـ الـمـعـرـكـةـ خـرـجـتـ تـسـأـلـ الـجـمـوعـ الـعـائـدـةـ فـقـالـ هـاـ :ـ إـنـ أـبـنـاءـكـ قـدـ
قـتـلـوـ :ـ قـالـتـ :ـ أـفـ صـدـورـهـمـ ،ـ أـمـ فـيـ ظـهـورـهـمـ ؟ـ

قـالـ قـائـلـهـمـ :ـ بـلـ فـيـ صـدـورـهـمـ .

قـالـتـ :ـ الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـىـ شـرـفـنـىـ بـقـتـلـهـمـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ وـأـرـجـوـ رـبـىـ أـنـ يـجـمـعـنـىـ
بـهـمـ فـيـ مـسـتـقـرـ رـحـمـتـهـ .

ـ مـاـ أـحـدـ أـشـبـهـ بـرـسـولـ اللـهـ مـنـ فـاطـمـةـ :

ـ قـالـتـ عـائـشـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ :

ـ مـاـ رـأـيـتـ أـحـدـاـ مـنـ خـلـقـ اللـهـ أـشـبـهـ حـدـيـثـاـ وـكـلـامـاـ بـرـسـولـ اللـهـ مـنـ فـاطـمـةـ ،ـ
ـ وـكـانـتـ إـذـاـ دـخـلـ عـلـيـهـ قـامـتـ إـلـيـهـ وـرـحـبـتـ بـهـ ،ـ وـأـخـذـتـ بـيـدـهـ فـقـبـلـتـهـ .

فدخلت عليه في مرضه الذي توف فيه فأسر إليها فبكى ، ثم أسر إليها فضحك .

فقلت : كنت أحسب هذه المرأة فضلا عن النساء فإذا هي واحدة منهن ، بينما هي تبكي ، أو هي تصاحك .

فلما توف رسول الله سألتها فقالت :

- أسر إلى فأخبرني أنه ميت في مرضه هذا فبكى ، ثم أسر إلى أنى أول أهل لحوقا به فضحك .

قالت أسماء بنت أبي بكر :

لما هاجر أبو بكر مع رسول الله احتمل ماله كله فدخل علينا أبو قحافة وقد ذهب يعده فقال :

- والله إن لأراه قد فجعكم بما له مع نفسه .

قلت : كلا يا أبااته ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا .

قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة البيت ثم وضعت عليها ثيابا ثم أخذت بيده فقالت :

- يا أبا ضع يدك على هذا المال

فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إن كان ترك هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم .

قالت أسماء : لا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ .

ارجع فعرف عنها :

روى أن رجلا مسلما فقيرا بمكة ، خرج إلى الحرم فوجد كيسا به بعض الدنانير ، ففرح بها ، وعاد إلى زوجته فأخبرها الخبر ، فطلبت إليه أن يعود فتعرف عما وجد بها .

فخرج فسمع مناديا ينادي :

— من وجد كيسا فيه دنانير كذا

قال الرجل : ها هو قد وجدته .

قال الآخر : هو لك ومه تسعمائة أخرى .

قال : أتهزأ بي ، قال : لا والله ولكن هكذا قال لي رجل من العراق ، قال : خذ هذه الدنانير فاطرح بعضها في الحرم فإن ردها إليك من وجدتها فادع إليه الجميع فإنه أمين ، والأمين يأكل ويصدق .

شكى امرأة إلى أحد الخلفاء فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخي وترك ستة دينار فحكم القاضي لى بدينار واحد .

قال الخليفة : هذا نصيبك

قالت : كيف .

قال : إن الرجل ترك ابنتين ووالدة وزوجه وأثنى عشر آخرا ، فقالت : نعم . قال : فللبنتين : الثلثان (أربعين) وللوالدة السادس (مائة) وللزوج الشمن (خمسة وسبعون) ولكل أخي ديناران ولكل دينار .

إن يك هذا من عند الله يمضه :

قالت عائشة رضى الله عنها :

فضلت على نساء النبي عشر ، لم ينكح بکرا غيري ، وأنزل الله براءتي من السماء ، وجاء جبريل بصورتي في حريرة ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة :

أریتك في المنام مرتين ، أرى أنك في سرقة من حرير ، ويقال هذه أمرائك . فاكشف عنها فإنما هي أنت .

فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه .

خرجت أغراية إلى (مني) قطع بها الطريق فقالت :

ـ يارب أخذت وأعطيت ، وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك هنك فضل
وعدل ، والذى عظم على الخلاائق أمرك ، لا بسطت لسانى بمسألة أحد غيرك ،
ولا بذلك رغبti إلا إليك ، يا قرة أعين السائلين أغتنى بجود منك أتبجع به
في فراديس نعمته ، وأتقلب في رواق نضرته وأغتنى من العيلة ، وأسدل على
سترك الذى لا تمزقه الرماح ولا تزيله الرياح .
إنك سميع الدعاء .

ابك كالنساء ملكا :

عندما انهزم السلطان أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة أمام ملك أسبانيا
(فرديناندو) وسقطت عاصمة ملكه في قبضة الأسبان عام ١٤٩١ خرج أبو عبد
الله مع أسرته ووقف فوق جبل يشرف على المدينة يلقى نظرة أخيرة .
وتساقطت الدموع من عينه .

وكانت أمه عائشة بجانبه فلم تلبث أن قالت له :
ابك كما تبكي النساء ملكا لم تحسن الدفاع عنه كالرجال .

قالت أسماء بنت خارجة الفزارى لابتها عند الزفاف :

يا بنيه : إنك خرجت من العش الذى درجت فيه فصرت إلى فراش لم
تعرفيه ، وقرئ لم تألفيه ، فكوفى له أرضا يكن لك سماء وكوفى له مهادا يكن لك
عمادا ، وكوفى له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحى عليه فيقلراك (لا تلجمي عليه .
فيكرهك) ولا تباعدى عنه فينساك ، إن دنا منك فاقرب منه ، وإن نأى عنك
فابعدى عنه . واحفظى أنفه ويعمه وعيه فلا يشنمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع منك
إلا حسنا ولا ينظر إلا جيلا .

ويعـ ...

فقد عرضت عليك أيها القارئ الكريم في هذه العجالة جانبًا من فكر وعلم بعض رجال سلفنا الصالح ، ملأوا الدنيا علمًا ونورًا ، وهرعوا العالم بكرمهـ ، وسماحتهم ، وعظيم أعمالهم ، وجليل أخبارهم ، عاشوا حياتهم يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مضحين من أجلها بأموالهم وأنفسهم وقلة أكبادهم ، لا يخشون في الحق لومة لام ، كيـرهم وصغيرهم ، غـنـيـمـ وـحـقـيرـهـمـ أـمـامـهـ سـوـاءـ لـاـ فـرقـ بـيـنـ عـرـبـ وـلـاـ أـعـجمـىـ لـاـ بـالـتـقـوىـ .

وقفوا يتحدون المعجزات فـما وهـنـوا وـمـا استـكـانـوا وـكـتبـ اللهـ هـمـ النـصـرـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ حتـىـ أـصـبـحـتـ كـلـمـةـ اللهـ هـىـ الـعـلـيـاـ وـكـلـمـةـ الـذـيـنـ كـفـرـواـ السـفـلـىـ ، وـخـلـفـ منـ بـعـدـهـمـ خـلـفـ وـرـثـواـ هـذـاـ التـرـاثـ الزـانـحـ وـتـلـكـ الـحـضـارـةـ الـمـشـرـقـةـ فـكـانـواـ خـيـرـ خـلـفـ خـيـرـ سـلـفـ .

نسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـنـفـعـنـاـ بـهـ ، وـأـنـ يـتـقـبـلـهـ خـالـصـاـ لـوـجـهـهـ الـكـرـيمـ إـنـ سـمـيـعـ قـرـيبـ .
مجـيبـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٥	التمهيد
٧	الفصل الأول : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٢٩	الفصل الثاني : الحكم وتقوى الله في الرعية
٦٨	الفصل الثالث : بطولة الحرب وإيمان الجهاد
٨٤	الفصل الرابع : ورع الفقهاء والقضاة
١٠١	الفصل الخامس : المجتمع الإسلامي المؤمن
١٢٥	الفصل السادس : المرأة المسلمة
١٣٣	الفهرس

رقم الإيداع: ٩٦٠٧/١٩٩٣م

I . S . B . N : 977-255-080-6

سالیع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبد الواحد المواجه لكلية الآداب

ت: ٢٤٢٧٢١ - ص.ب: ٢٢٠

تلکس: DWFA UN ٢٤٠٠٤

هذه الرسالة

- * إن حضارة التوحيد التي صنعواها القرآن الكريم وبناها محمد ﷺ تحت راية لا إله إلا الله ، قدمت للبشرية الضوء الكاشف الذي حررها من عبودية الأوثان وعبودية الإنسان للإنسان ، ودفعها إلى بناء المدنية وإنشاء الحضارة ، وكشف لها المنهج العلمي التجريبي .
- * وقد قدم تاريخ الأمة الإسلامية صفحات مجيدة وبطولات حية ، وصورا ما تزال تبهر الناظر إليها ، فأسعدت البشرية كلها ، وقدمت لها ترائق أزمتها وعلاج أدوائتها ، وضياء أيامها وليلاتها .
- * فما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يتمسوا بتراثهم وميراثهم ويأخذوا كتابهم بقوة ، وما أحوج البشرية إلى أن يستطيع المسلمون تقديم هذا الضياء كله للإنسانية ، شريعة عادلة ، وخلقًا كريما ، وأخوة عالمية ، وساحة لا تعرف التعصب ولا العنصرية ولا الإقليمية ، ولا تعرف الرياء أو الغدر ، ولا تجعل العلم في خدمة المطامع والأهواء ، بل في خدمة الإنسان والإنسانية .
- * وهذه الرسالة - الموجزة - تقدم إلى الشباب المسلم صورا من حضارة أمته - حضارة التوحيد - وهي صور واقعية تكررت وثبتت ، وهي قادرة على أن تعود وتتكرر في هذا العصر إذا ما التمسنا مصادرنا من القرآن والسنّة .
- * ودار الصحوة إذ تقدم هذه الرسالة إلى شبابها الكرام تسأل الله لهم التوفيق والسداد .

الناشر

دار المحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة: ٧ ش.السرافى - أول المنيلا - ت. فاكس: ٩٨٧٩٢٤٠

الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارت المهندسين - ت. ٣٧٤٠٠٧١

